

**التجارة في مصر في عهد
السلطان الناصر محمد بن قلاوون**

إعداد

**د/ حياة عبد القادر أحمد المرسي
باحث تاريخ إسلامي**

الفهرس

الموضوع
١ - المقدمة.
٢ - نبذة تاريخية عن السلطان الناصر محمد بن قلاوون.
٣ - حالة مصر في عهد السلطان والمميزات التي تميزها في عهده.
٤ - التجارة الداخلية والخارجية في مصر وأنواع المستور والمصدر.
٥ - طرق التجارة - البري والبحري.
٦ - الأسواق.
٧ - الخانات (الفنادق).
٨ - أنواع المعاملات التجارية النقد - الحولات - المقايضة - القروض.
٩ - العملة - أنواع العملات المستعملة في مصر.
١٠ - المكاييل والموازين.
١١ - المكوس - الرسوم الجمركية - الضريبة - الجوازات.
١٢ - فهرس المصادر والمراجع.
١٣ - الفهرس.



المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

لقد شاءت الأقدار في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي أن تزدهر التجارة في مصر عن طريق البحرين الأحمر والأبيض وموانئ مصر وازدهار الطرق التجارية الأخرى بين الشرق والغرب، وقد ساهم الممالك في تفعيل ذلك النشاط مساهمة فعالة، حيث أنهم سيطروا على الكثير من الطرق والموانئ التجارية، فاتجهت أنظار الغرب والشرق نحوهم، وكانت لهم اتصالات بملوك ورؤساء تلك الدول لتوطيد العلاقات التجارية وتقوية الروابط الاقتصادية معهم، خاصة في عهد السلطان الناصر بن محمد قلاوون الذي دعم ذلك النشاط وآزره من أجل الصعود بمصر وباقتصادها إلى مصاف الدول التجارية، وبالفعل كان له ما أراد من هذا المنطلق تجرأت بالكتابة عن التجارة الداخلية والخارجة في مصر في عهد السلطان الملك الناصر بن محمد قلاوون.

وبالله التوفيق والسداد،،

نبذة تاريخية عن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون

نشأة السلطان محمد الناصر:

ولد السلطان محمد يوم السبت في منتصف المحرم ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م في مصر بقلعة الجبل^(١)، وُسِّم محمد حتى يُقضى عليه أنوار بركة هذا الاسم الشريف، وقد نُعت بالناصر لأنه نعت حسن التعريف، ولقد وردت البشري بمولده إلى والده وهو يحارب الصليبيين بالقرب من دمشق أثناء محاصرته بحصن المرقب، فاستبشر الملك المنصور قلاوون بمولده^(٢). نشأ الناصر محمد في قلعة الجبل مقر السلاطين بالقاهرة محاطاً بالأمراء والنبلأ، وأرباب الدولة^(٣)، واعتنى به والده السلطان منصور، وأنشأه على الأخلاق القويمة ورباه تربية سليمة، في تلك البيئة التي نشأ فيها الناصر كان لها أكبر الأثر على شخصيته وطباعه بعد ما كَبُرَ، استطاع من خلالها أن يمارس الحكم أكثر من ثلاثين عاماً^(٤) أظهر فيها حُسن أخلاقه وصفاته الحسنة الكريمة^(٥).

(١) بدر الدين العيني: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق: فهم شلتوت، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٢١٠-٢١٢؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ج ١، ص ١٨٧؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشا لبنان ١٩٨٧م، ج ١٠، ص ٤٥-٥٢؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، جزءان، ج ٢، ص ٥٤.

(٢) ابن أبيك: الدر الفاخر في سيرة الملك الظاهر - ص ٣٨٨، أبو القدا: المختصر في اخبار البشر - ج ٤ ص ٢١، المقريزي: السلوك - ج ١ ص ٧٩٧.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة - ج ٨ ص ١١٥ - ١١٦، ابن أبيك: كنز الدرر - ج ٨ ص ٣٤٥. العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان - ج ٢٩ ص ١٥٣. المقريزي: السلوك - ج ١ ص ٧٩٨.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى ج ١٠ ص ٤٥، ابن أبيك كنز الدرر: ج ٨ ص ٣٤٥ - النويري: نهاية الأرب - ج ٢١ ص ٢٨٢.

(٥) السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة ج ١ ص ٥٥. ابن أبيك الدر: الفاخر في سيرة الملك الظاهر - ص ٣٨٧.

صفاته:

لقد برزت شخصيته وهو ابن الخامسة والعشرين من عمره، وقد أرخى لحيته فإذا له هبة يُحسُّ بها كل من يلقاه^(١)، وكان له في الحديث طريقة يكاد يتفرد بها عن سواه من هو في مثل مكانته ومركزه، إذ كان عف اللسان لا يفحش في القول سواء كان غاضباً أم منبسط الوجه، ينادي الناس بأحسن أسمائهم وأجل ألقابهم، ولا يؤاخذهم فيما يتورطون فيه من غير قصد، بل يقابل أعمالهم بصدر رحب ونفس سمحة^(٢).

كان الناصر محمد بن قلاوون رزياً غير متهور إذا غضب على أحد لا يظهر له ذلك بل يتروى في أمره ثم يعفو عنه أو يعاقبه فيما بعد، وكان لا يميل إلى الهزل في موضع الجد، فإذا خرج أحد على هذه القاعدة واستغل حلم الناصر غضب أشد الغضب، كان لا يميل إلى الزخرف في لباسه ويكتفي بما كان معتدلاً في قيمته^(٣).

حالة مصر في عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون:

يُعد السلطان الناصر محمد بن قلاوون هو المنشئ للدولة المملوكية ومؤسس أسرة مملوكية عريقة من المماليك البحرية ظلت تحكم مصر مدة مائة عام، إلى جانب الشام والحجاز واليمن^(٤).

(١) بدر الدين العيني: السيف المهند - ص ٢١٢، المقريزي: السلوك - ج ١ ص ١٨٨

(٢) السيوطي: حسن المحاضرة - ج ٢ ص ٥٦، المقريزي: السلوك - ج ١ ص ١٨٨. ابن أبيك الدواداري: ركن الدين - بيري الدوادار المنصوري - زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة - الشركة المتحدة - لبنان بيروت - ١٩٩٨ م ص ٢٩٨

- ٢٩٩

(٣) العيني، بدر الدين العيني: عقد الجمان وتاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد أمين، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧ م، ج ٢٩، ص ١٥٢.

(٤) ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبع بدار الكتب المصرية - القاهرة، ١٩٣٩ هـ، ج ١٦، ص ٢٥٣؛ ابن أبيك الدواداري، عبد الله: الدر الفاخر في سيرة الملك الظاهر، نشر: هانس روبرت رويمر، القاهرة، سنة ١٩٦٠ م، ص ٣٨٨؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: = المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق، سنة ١٢٧٠ هـ، ج ٢، ص ٧٠؛ أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، القاهرة، ١٩٢٥ م، ج ٢، ص ١٣.

وهو أعظم شخصية مملوكية حكمت مصر بعد الظاهر بيبرس، ولم تكن عظمتها في حكمه فقط، بل تجلّى ذلك في كل مرافق الحياة في مصر، فله الفضل في صد الهجمة الثانية للمغول على المشرق الإسلامي، حيث خرج لملاقاتهم في حلب وذلك سنة ٦٧٩هـ عندما دخلوها وطرّدوا الكثير من أهلها، ولما سمعوا بخروج قلاوون فروا راجعين إلى بلادهم، لكنه التقى بهم في حمص وهزمهم هزيمة منكرة^(١).

كذلك من أهم إنجازات السلطان محمد طرد الصليبيين من أقوى معاقلهم في الشام فقد استولى على اللاذقية سنة ٦٨٧هـ ثم طرابلس سنة ٦٨٨هـ^(٢).

هذا ويُعد عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون من أزهى عصور الدولة المملوكية، حيث بسطت نفوذها على الحجاز واليمن، كما عقد معاهدات مع ملوك أوروبا وآسيا وأفريقيا، وأحدث تطويراً في نظام الحكم، فزاد من وظائف الدواوين وحدد الاختصاصات^(٣).

إضافة إلى ذلك كان السلطان يرى أن تعزيز كيان دولة المماليك في مصر ونجاح سياستهم الداخلية والخارجية لا يتم تحقيقها إلا بالعمل على تنمية موارد الثروة الاقتصادية^(٤)، فبذل قصارى جهده في هذا السبيل حتى عمّ الرخاء في البلاد وتوفر المال لدى الخزانة المملوكية.

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة - ج ١٦ ص ٢٥٤، المقريزى: خطط - ج ٢ ص ٧٠، أبو الفداء: المختصر ج ٢ ص

١٤، ابن أبيك: زبدة الفكرة - ص ٢٩٩

(٢) ابن أبيك كنز الدرر: ص ١٦٢، المقريزى: السلوك - ج ٢ ص ٥٥، محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر - ص ٥٢

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور - ج ١ ص ٤٢٦، المقريزى: خطط - ج ٢ ص ٢٠٦، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة - ج ٨ ص ٢٧٤، ابن أبيك: زبدة الفكرة - ص ٢٩٩

(٤) المقريزى: إغاثة الأمة - ص ٣٦ - ٤٠، سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام - ص ٢٧٥، عزيز سوريال عطية:

تاريخ المماليك - الطبعة الثالثة - القاهرة - ص ٨٨ وما بعدها

وقد ركز السلطان محمد بن قلاوون على كل مصادر الثروة في البلاد إلا أنه أولى عناية خاصة بالتجارة التي كانت تمثل عصب الحياة في مصر سواء الداخلية أو الخارجية، وذلك بتسهيل كل السبل لها فنشطت في أيامه الحركة التجارية بمصر وكان لها اليد في الدول سواء العربية أو الأوروبية.

التجارة الداخلية بمصر:

لقد نشطت التجارة الداخلية في مصر وأصبحت القاهرة مركزاً رئيسياً للتبادل التجاري بين الشرق والغرب، وازدهر اقتصاد الدولة بالتجارة.

وبعد العصر المملوكي العصر الذهبي للنشاط التجاري وأصبح اقتصاد مصر يقوم بالدرجة الأولى على التجارة^(١). وكما أولى المماليك التجارة عنايتهم فقد أسهم كبار التجار بدورهم في بناء المجتمع المصري في عصر المماليك، وكون التجار طبقة ممتازة أهلهم لها ثراؤهم فأخذوا يمدون خزانة الدولة بالأموال وخاصة في الشدائد والحروب والأزمات^(٢).

وكانت مدينة القاهرة عامرة بالأسواق كما كثرت بها الحوانيت التي تمتد على طول بعض شوارعها من الجانبين وتموج بالتجار والأهالي الذين يفدون إليها لقضاء جميع ما يلزمهم من حاجيات المعيشة، وليس أدل على ذلك مما أورده المقريزي^(٣) عن الحركة التجارية في الطريق الممتد من الحسينية إلى المشهد النفسي فقال: " أدركت هذه المسافة بأسرها عامرة بالحوانيت خاصة بأنواع المأكّل والمشارب والأمتعة، تبهج رؤيتها ويعجب الناظر هيئتها ويعجز العاد عن إحصاء ما فيها من الأنواع فضلاً عن إحصاء ما فيها من

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ج ١٢ ص ٣٤٠، ابن الأخوة: معالم القرية ص ٨، سعيد عاشور: الأيوبيين والمماليك في مصر والشام ص ٢١٤ - ٢١٥

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٢، المقريزي: السلوك - ج ٢ ص ١٠٢، محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر - ص ٣٢٨

(٣) انظر المقريزي: خطط، ج ٢، ص ٩٥، محمد سهيل طقروش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النقاش للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٩٧م، ص ٢٨٧١ - ٢٨٨٨.

الأشخاص، وسمعت الكافة ممن أدركت يفاخرون بمصر سائر البلاد، ويقولون يرمى بمصر كل يوم ألف دينار ذهباً على الكيمان والمزابيل يعنون بذلك ما يستعمله اللبانون والجبانون والطباخون من الشقاف الحمر التي يوضع فيها اللبن والتي يوضع فيها الجبن، والتي يأكل فيها الفقراء الطعام بحوانيت الطباخين وما يستعمله يباعوا الجبن من الخيط والحصر... وما يستعمله العطارون من القراطيس والورق القوي، والخيوط التي تشد بها القراطيس الموضوع فيها حوائج الطعام من الحبوب والأقاوية وغيرها، فإن هذه الأصناف المذكورة إذا حملت من الأسواق وأخذ ما فيها أقيت في المزابيل..".

كذلك وصف المقرئزي^(١) وكالة قوصون التي شاهدها بنفسه فقال: "إن رؤيتها من داخلها وخارجها لتدهش لكثرة ما هنالك من أصناف في البضائع وازدحام الناس وشدة أصوات العتالين عند حمل البضائع ونقلها لمن يبتاعها".

وأهم ما في هذه الأسواق أن كل سوق فيها اختص بنوع معين من البضائع ذات الطابع الخاص والمميز فهناك سوق الشماعين والفرارين والنحاسين^(٢)، وهكذا ومن محاسن هذا النظام أن التاجر لا يستطيع أن يشذ عن جيرانه يرفع أسعار السلعة التي يتجر فيها، لأن منافسيه على مقربة منه، كما أن المشتري إذا لم يعجبه نوع السلعة أو ثمنها فإنه يستطيع أن ينتقل بسهولة من متجر لآخر دون تحمل أدنى مشقة^(٣).

أما عيوب هذا النظام، فأهمها أن الفرد إذا أراد شراء عدة أصناف متباينة من البضائع، فعليه أن يقطع المدينة كلها طويلاً وعرضاً حتى يقضي حاجاته؛ لأنه لن يجد في

(١) المقرئزي: خطط، ج ٢، ص ٩٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٤٢-٥٥؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ الممالك، ص ٢٩٦-٢٩٧؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، ط ١، القاهرة، سنة ٢٠٠٣م، ص ٣١٢؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م، ص ٣٠٨.

(٢) المقرئزي: خطط، ج ٢، ص ٩٢، جمال سرور - دولة بني قلاوون في مصر - ص ٣٢٢، محمد سهيل طقوش - تاريخ الممالك - ص ٢٩٧.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ص ٣٠٩.

السوق الواحد سوى نوع واحد من البضائع^(١).

أما المواد الغذائية فقد وجدت لها أسواقاً قائمة بذاتها منها بالقاهرة باب الفتاح وسوق بين القصرين وباب الزهومة، وكلها اشتهرت في عهد السلطان محمد بن قلاوون بكثرة العروض فهناك اللحوم والخضروات والزيت والألبان فضلاً عن اكتظاظها بجمهور المشتريين^(٢).

أما الفواكه فكان لها سوق خاص بها باب زويلة، عرف هذا السوق بدار التفاح، كانت تحمل إليه ثمار البساتين المحيطة بالقاهرة، حيث يتفنن الباعة في عرضها ويتأنقون في تنفيذها واحتفافها بالرياحين والأزهار^(٣).

ولم يترك سلاطين المماليك حركة البيع والشراء في الأسواق دون رقيب أو حسيب إنما عهدوا إلى المحتسين بالطواف ليلاً ونهاراً للتفتيش على الباعة وضبط من يحاول التلاعب في الأسعار أو الأوزان أو أصناف البضاعة^(٤).

وكان بمصر فريق من التجار يعرفون بتجار الكارمية^(٥) يدهم تجارة البهار من الفلفل والقرنفل والهيل ونحوها، ومن المحتمل أن تكون هذه التسمية أطلقت عليهم نسبة إلى القانم وهم فرقة من السودان أقامت طائفة منهم بمصر واشتغلت بتجارة البهار.

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٣٠٩؛ محمد

جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٢٦؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك، ص ٢٠٤-٢٠٨.

(٢) المقرئزي: خطط، ج ٢، ص ٩٦؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص ٣٠٨-٣٠٩.

(٣) المقرئزي: خطط، ج ٢، ص ٩٣؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٢٧.

(٤) انظر المحتسب وعمله في الأسواق، ص ٢٩ من هذا البحث.

(٥) التجار الكارمية: هم فرقة من التجار السودانيين أقامت في مصر واشتغلت بتجارة البهار. انظر القلقشندي: صح

وقد جنى تجار الكارم من وراء اشتغالهم بالتجارة أموالاً كثيرة حتى قال عنهم المقريزي: " أنهم في عدة وافرة ولهم أموال عظيمة " ^(١).

وليس أدل على ازدياد ثروتهم من المبالغ التي كانوا يقترضونها لحكومة المماليك في مصر لسد نفقات حروبها وخاصة في عصر الناصر محمد بن قلاوون.

ويذكر المقريزي فيقول ^(٢): " أن المغول لما أوقعوا الهزيمة بالمماليك سنة ٦٩٩هـ، وأصبحت الدولة المصرية في حاجة إلى المال، طلب ناصر الدين بن محمد الشينخي والي القاهرة من تجار الكارم وأعيان التجار مالا على سبيل القرض ".

وكان لتجار الكارم دور في التوسط لدى التجار الغير مصريين لما لهم من مكانة اقتصادية مرموقة في الدولة، يقول المقريزي ^(٣): " أنه لما قدم بعض التجار الدماشقة إلى القاهرة سنة ٦٨٧هـ وألزموا بدفع بعض المبالغ، اعتذروا عن أدائها بأن أموالهم في دمشق، وسألوا الأمير سلم الدين سنجر الشجاعي - الذي كان يلي وزارة المالية آنذاك - أن يفرض عليهم ما يرسلونه إليه عند عودتهم إلى دمشق، لكنه خشي ألا يفوا بوعودهم إذا ما عادوا إلى بلدهم، ومن ثم استدعى تجار الكارم بمصر وأمرهم أن يقترضوا الدماشقة بعض المال فلبوا طلبه وكتب على الدماشقة مساطير بما اقترضوه من هؤلاء التجار. ولما عادوا إلى بلدهم لم يجدوا بُدأ من رد ما أخذوه من تجار الكارم.

(١) المقريزي: خطط، ج ١، ص ٨٨؛ ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي: كتاب تاريخ مصر المعروف ببداية الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى زياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م، ج ١، ص ٤٥؛ قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري في عهد المماليك، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧م، ص ٣٥-٣٧؛ الكارمية وتجار الكارم في عصر المماليك، مجلة الفكر العربي، عدد ٥٤، كانون الأول، بيروت، ١٩٨٨م.

(٢) أبي إياس: بداية الزهور ومواقع الدهور، ج ٢، ص ٤٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٢؛ قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري، ص ٣٧؛ زكي محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية والتضاريس الإسلامية، ص ٣١٩.

(٣) المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٧٣٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٢؛ محمد سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٢٨؛ زكي حسن: فنون الإسلام، ص ٣١٩.

هذا وقد حرصت حكومة المماليك في مصر من استخراج المعادن من الأراضي المصرية كالشبه والنطرون، واحتكر تجارتها الديوان السلطاني^(١).

وكان معدن الشب الذي يرد من الصعيد والواحات يصدر من ساحل أخميم وسيوط والبنها إلى الإسكندرية على المراكب النيلية^(٢)، حيث يباع منه لتجار الروم نحو اثني عشر قنطار بسعر يتراوح بين أربعة دنائير إلى ستة لكل قنطار ويباع هنا المعدن أيضاً بمصر للبوديين والصباغين نحو الثمانين قنطاراً سعر القنطار ستة دنائير ونصف^(٣).

أما النطرون الذي يستخرج من الطرانة والفاقوسية على مقربة من الخطارة، فثمن القنطار بمصر والإسكندرية سبعون درهماً^(٤).

التجارة الخارجية في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون:

بعد أن تعرضنا لتجارة مصر الداخلية، وجب علينا التعرف على التجارة الخارجية مع الدول المجاورة حتى تكتمل منظومة عملية الاقتصاد في الدولة، وإذا نظرنا إلى التجارة الخارجية نجد أن سلاطين المماليك لم يجدوا صعوبة في استيراد البضائع من الخارج، وذلك لوقوع كثير من المواني وطرق القوافل تحت سيطرتهم^(٥)، وقد سهل ذلك نقل المحصولات من بلده إلى أخرى، وتزويد الأسواق المصرية بالمناجر والخامات الصناعية المحلية والخارجية، بفضل نهر النيل خاصة أن الجزء الصالح للملاحة كان ينتهي عند حدود مصر جنوباً. لذلك كثرة عملية النقل النهري، وصارت السفن تجتازه محملة بالبضائع والمحصولات

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٥، المقرئزي: خطط، ج ١، ص ١٠٩، ابن إياس: بدائع الزهور - ج ٢ ص ٤٥

(٢) محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون - ص ٢٢٩، زكي حسن: فنون الإسلام ص ٣٢٠

(٣) ابن إياس: بدائع - ج ٢ ص ٤٦، المقرئزي: خطط، ج ١، ص ١١٠

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٥٥؛ المقرئزي: خطط، ج ١، ص ١٠٩؛ ابن الأخوة، محمد بن محمد بن

أحمد القرشي: معالم القرية في أخبار الحسية، نشر ليفي كمبرج، سنة ١٩٣٧م، ص ٨؛ السخاوي. شمس الدين

محمد بن عبد الرحمن: التبر المسبوك في ذيل السلوك، مصر، بولاق، ١٣١٥هـ، ص ٢٦٠-٢٦٣.

(٥) ابن الأخوة - معالم القرية - ص ٩، السخاوي - التبر المسبوك - ص ٢٦٣

بن أسواق الإسكندرية^(١).

وكان تجار النوبة يأتون إلى النيل حتى الجنادل، وعندها تقف مراكبهم ومراكب السودان، ويتحول من فيها بتجارهم إلى ظهور الجمال حتى يصلوا إلى أسواق أسوان التي كانت مركزاً هاماً للتجارة، فهي أيضاً تحمل البضائع والمنتجات المصرية إلى النوبة^(٢).

وكانت منتجات الشرق^(٣) ترد إلى مصر من الصين والهند واليمن والخليج الفارسي. ومن أهم منتجات الشرق الأقصى الفلفل والزنجبيل والبخور وأنواع العطور المختلفة كالعود والعبر والصندل، والخزف والقيشاني الصيني والزمرد واللؤلؤ من الخليج الفارسي^(٤).

(الخليج العربي حالياً) ومن اليمن البن والبهارات ومن الهند بالإضافة إلى البهارات والعطور والزمرد اشتهرت بتصدير الأقمشة إلى الأسواق المصرية خاصة الحريرية التي تميزت بها الهند عن جميع أقطار الأرض^(٥).

ومما يؤيد أن الهند كانت تصدر الأقمشة الحريرية إلى مصر ما ذكره المقرئزي يقول عن محمد بن تغلق سلطان الهندوستان بقوله: " وللسلطان محمد تغلق دار طراز فيها أربعة آلاف قزاز لعمل أنواع القماش سوى ما يحمل إلى الصين والعراق والإسكندرية، ويفرق كل سنة مائتي ألف كسوة كاملة، وكلها حرير من عمل الطراز بدلهي".

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٢٠٠، محمد سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٢٤ - سعيد عاشور - عصر سلاطين المماليك ص ٣٩١

(٢) المقرئزي: خطط، ج ١، ص ١٩٧؛ المقرئزي: السلوك، ج ١، ص ١-٢٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٣، ص ٣٤٠؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص ٢٩٠؛ سعيد عاشور: الأيوبيون والمماليك، ص ٣١٤-٣١٥؛ محمد سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٣٤.

(٣) البلوي المغربي: رحلته المسماة تاج المفرق في تحلية تجار المشرق، ص ١٠٤.

(٤) المقرئزي: خطط، ج ١، ص ٢٢٤، سعيد عاشور: الأيوبيون والمماليك، ص ٣١٥.

(٥) ابن القرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن: تاريخ الدول والملوك، نشر قسطنطين رزق، ونجلاء عز الدين، بيروت، ط ٧، ١٩٤٢م، ج ٧، ص ١٩٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٣، ص ٣٤٠-٣٤١؛ المقرئزي: خطط، ج ٢، ص ١٠٥.

وكانت مدينة الإسكندرية من أكبر المراكز التجارية في عهد المماليك، لتصدير منتجات الشرق الأقصى.

وكان بمصر فريق من التجار يعرفون بتجار الكارم يبدونهم تجارة البهار من الفلفل والقرنفل والزنجبيل ونحوهما^(١).

وقد جنى تجار الكارم من وراء التبادل التجاري مع الأقطار الشرقية ثروة ضخمة يقول المقريزي^(٢): " أن ناصر الدين محمد بن مسلم الكارمي المصري، رزق الحظ الوافر في التجارة، وفي العبيد، فكان يبعث أحدهم بمال عظيم إلى الهند، ويبعث آخر بمثل ذلك إلى بلاد التكرور^(٣)، ويبعث آخر إلى بلاد الحبشة ويبعث عدة آخرين إلى عدة جهات من الأرض، فما منهم يعود إلا وقد تضاعفت فوائده أمواله أضعافاً مضاعفة "

كذلك اهتم سلاطين المماليك بتشجيع التجارة مع الشرق فسهلوا على التجار سبل السفر إلى بلاد التكرور والحبشة واليمن والهند.

ومما هو جدير بالذكر أن بلاد التكرور ارتبطت بعلاقات الود والصداقة مع مصر وكان ملوكها ينزلون بالقاهرة وهم في طريقهم إلى بلاد الحجاز، وقد احتفى السلطان الناصر بقدوم منسا موسى ملك بلاد التكرور سنة ٧٢٤هـ وتبادل معه الهدايا^(٤).

(١) انظر ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣١؛ المقريزي: السلوك، ج ٢، ص ١٠٣.

(٢) المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٦٤٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٣٨١؛ بيري الدواداري المنصوري: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، جمعية المستشرقين الألمانية، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، سنة ١٩١٨م، ج ٩، ص ١٤٢.

(٣) بلاد التكرور: هي إحدى الأقاليم الأفريقية الواقعة في الجهة الجنوبية الغربية من مصر وقاعدتها مدينة تكرور. انظر ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي: معجم البلدان، ١٢ جزء، القاهرة، ١٩٠٦م، ج ٥، ص ٢٨٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٩٤.

(٤) شوقي حبيب: التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر سلاطين المماليك، ص ١٠٣. ذكر أن كثير التكرور في مصر حتى أن منية بولاق عرفت ببولاق التكرور نسبة إلى أحد الصلحاء وهو الشيخ أبو يوسف عبد الله الكروري

وكان لذلك أعمق الأثر في توثيق العلاقة بين دولتيهما، وأصبح التجار المصريون يترددون على تلك البلاد لشراء منتجاتها خاصة ناب الفيل^(١).

كما أن أهالي بلاد التكرور كانوا يفيدون إلى مصر منذ عصر الظاهر بيبرس وفي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون^(٢).

واتخذ بعضهم هذه البلاد داراً لإقامته ولقوا من كبار رجالات الدولة رعاية خاصة^(٣).

وكان لانتشار نفوذ مصر في بلاد اليمن في عهد السلطان الناصر بن قلاوون أثر كبير في تسهيل سبل تجارتها مع الأقطار الشرقية، فصارت تصل إليها السفن محملة بمنتجات الشرق دون أن تعترضها أي صعوبة أثناء مرورها بنغور اليمن^(٤).

كذلك من أثر ذبوع صيت دولة المماليك وقوتها في الشرق، وعدم خوف تجار الدولة على تجارتهم، تنافس أمراء بعض الدول الشرقية على كسب صداقة سلاطينها ليتبادلوا معهم التجارة وذلك لما وجدوه من حسن المعاملة وصدق التعامل سواء في التجارة أو غيرها من صنوف المعاملات^(٥).

وأدل مثلاً على ذلك ما حدث بين ملك اليمن المظفر يوسف، وملك سيلان (ابونكبا)^(٦) فقد أرسل الملك الأول للملك الثاني يعرض عليه حلفاً تجارياً ولكن ملك

(١) ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك - ج ٧ ص ١٩٧، ابن الأخوة: معالم القرية - ص ٨، ابن خلدون: العبر - ج ٦ ص ١٠٢

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٩٣، المقرئ: خطط، ج ٢، ص ٤٠١، ابن تغري بردى - النجوم الزاهرة - ج ٥ ص ٢٨١

(٣) بيبرس الدوادار المنصوري: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة - ج ٩ ص ١٤٢، المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٦٤٩

(٤) محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون - ص ٣٣٨، ٢٠ - قاسم عبده قاسم الأيوبيين المماليك - ص ١٩٥

(٥) شوقي حبيب: التجارة في مصر وإفريقيا - ص ١٠٤، محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون - ص ٣٣٨

(٦) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج ٥، ص ١٤٣؛ المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٧١٣؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص ٣٠٣.

سيلان فضل المحالفة مع حكومة الممالك في مصر، لذلك عمد إلى إرسال سفارته إلى السلطان الناصر بن محمد بن قلاوون سنة ٦٨٢هـ.

وقد أبحر رسله من سيلان إلى مصر عن طريق الخليج الفارسي فإلى العراق والشام بناً على أمر ملكهم، حتى لا يضطروا إلى المرور ببلاد اليمن^(١).

وكان مع رسل ملك سيلان كتاب، ذكر فيه تخليه عن صحبة ملك اليمن، وتعلقه بمحبة السلطان^(٢)، ورغبته في أن يتبادل التجارة مع جزيرته الغنية وبين فيما أورده في كتابه ما يملكه من السفن وما تنتجه جزيرته من المحصولات وما يصنع بها من المنسوجات، وما يستخرج منها من اللؤلؤ والأحجار الثمينة، وبين فوق ذلك أن المصريين سيجدون في جزيرة سيلان حاجتهم مما كان يستورد من بلاد الهند، وطلب من السلطان أن يعين له مندوباً بعدن ويبعث إليه برسول من قبله.

وقد استجاب السلطان لرغبة ملك سيلان وأكرم وفادته سفرائه، وأجزل لهم العطايا وأنفذ معهم رداً على كتابه.

هذا وقد كان لتجار الكارم مراسلات بين عدن والهند، ويقوم عدد كبير منهم برحلات في بلاد العرب وأفطار الشرق الأقصى خاصة سيلان والصين لزيارة متاجرهم، وشركاتهم التي تمتلك عدداً كبيراً من السفن^(٣).

ولم تكن تجارة الكارم مقصورة على البهار والعطارة، بل ساهموا أيضاً في تجارة الغلال والحبوب خاصة الفول وكذلك الكافور وخشب العود والصندل وجوز الهند وجوز

(١) محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٣٨.

(٢) بيرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج ٩، ص ٣٤٣؛ المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٧١٣.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٧؛ المقرئ: السلوك - ج ٢، ص ١٠٣، بيرس الدوادار المنصوري - زبدة

الفكرة - ج ٩، ص ١٩١، محمد جمال الدين سرور - دولة بني قلاوون - ص ٣٢٨.

الطيب والقصدير^(١).

يقول الدكتور سعيد عاشور^(٢): "إن تلك الطائفة من التجار لم يقتصر نشاطها على محاصيل بلادهم فحسب بل امتد ذلك النشاط إلى بهارات اليمن والهند والصين، حتى أصبح اسم الكارمية يطلق على كل من اشتغل بتجارة الفلفل والبهار، وقد اتخذوا مدينة قوص مركزاً لنشاطهم الواسع، فعدت تلك المدينة الهامة في الصعيد المصري سوقاً واسعاً لمنتجات أفريقية الوسطى واليمن والهند والحجشة التي يعتمدون عليها في تجارة ناب الفيل لكثرتها بها.

وفي قوص كوّن تجار الكارمية نقابة لأنفسهم احتكرت تجارة التوابل والبخور والعاج. وصار لهذه النقابة رئيس معترف به من قبل حكومة المماليك، أطلق عليه اسم رئيس الكارمية^(٣).

التبادل التجاري مع الدول الأوروبية:

لم تقتصر التجارة الخارجية في مصر على الشرق والشرق الأقصى بل أيضاً امتدت إلى الدول الأوروبية، وقد بذل سلاطين المماليك في هذا السبيل قصارى اهتمامهم حتى يتمكنوا من توثيق العلاقات التجارية بتلك الدول. فقد عقد السلطان الظاهر بيبرس المعاهدات التجارية مع شارل صاحب أنجو، وألفونس أمير آشبيلية^(٤) وجيمس ملك

(١) آدم ميز: الحضارة الإسلامية - ج ٢ ص ٢٧١، المقرئ: خطط، ج ١، ص ٢٠٢.

(٢) سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص ٣٠٣.

(٣) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين بن علي: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٤ أجزاء، الهند سنة ١٩٢٩م،

ج ٢، ص ٢٨٢؛ المقرئ: السلوك، ج ١، ص ١٠٣؛ النوري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في

فنون الأدب، صور شمسية بدار الكتب الملكية بالقاهرة، ج ٣، ص ٩٢.

(٤) المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٧١٢؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة، ج ٩، ص ٢٤٣؛ محمد جمال سرور: دولة بني

أرجونة^(١).

وقد حذا السلطان الناصر محمد بن قلاوون حذو بيبرس، فعقد معاهدات مع جنوه ومنح البنادقة عدة امتيازات سهلت عليهم سبيل المتاجرة مع مصر، وتعهد لهم بحمايتهم رعاياهم وأموالهم^(٢).

وكان من أثر نشاط الحركة التجارية بين مصر من ناحية، والبندقية وجنوه وبيزا من ناحية أخرى، أن أصبح لهذه الجمهوريات قناصل في دمياط، ووافق الناصر محمد على تعيين سفير للبندقية في الإسكندرية^(٣).

على أن تجارة البنادقة مع مصر ما لبث أن اعترضها ذلك القرار الذي أصدره السيناتور بين سنتي ١٣١٣م - ١٣١٧م والذي يقضي بمنع تصدير البضائع إلى مصر. وكان ذلك القرار قد جعل رئيس البنادقة يتوسط لدى البابا سنة ١٣١٧م ليحصل على ترخيص لمواطنيه بتصدير الذهب والفضة والقصدير والنحاس والجوخ والزعفران، وغير ذلك من البضائع الأوروبية التي تحتاجها مصر^(٤).

هذا وقد رأى البابوات أمام ضغط التجار الأوروبيين أن يخفصوا من قراراتهم وعينوا المواد التي يمنع تصديرها إلى مصر كالخشب والحديد والقار والكبريت التي يحتمل استخدامها في صناعة الآلات الحربية وتجهيز العسكر المصريين ضد أي اعتداء أوروبي^(٥).

(١) النويري: نهاية الادب ج ٣ ص ٩٤. بيبرس منصوري: زبدة الفكرة - ج ٩ ص ٢٤٣، القلقشندي: صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٤٠

(٢) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة - ج ٢ ص ٢٨٣. سعيد عاشور: العصر المماليكي - ص ٢٩١

(٣) ستانلي لين بول: تاريخ مصر في القرون الوسطى - ص ٢٨١، سعيد عاشور: العصر المماليكي: ص ٣٠٦. محمد جمال سرور - دولة بني قلاوون - ص ٣٣٩

(٤) سعيد عاشور: الحركة الصليبية جزءان، القاهرة، ١٩١٣م، ج ٢، ص ٢٠٣؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص ٣٠٦؛ شوقي عبد القوي عثمان حبيب: التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر سلاطين المماليك، ص ١٠٣-١٠٤

(٥) سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج ٢ ص ٢٠٤، أبي إياس - بدائع الزهور ومواقع الدهور، ج ٢، ص ٨٣؛ ابن تغري بردى - النجوم الزاهرة - ج ١٦ ص ٩٨، قاسم عبده قاسم - الأيوبيين المماليك - ص ١٨٣ - ١٨٤

كذلك منع بعض أنواع التجارة التي لها أهميتها الغذائية كالقمح والنبذ والزيوت فضلاً عن الرقيق الأبيض الذي اعتمد عليه نظام المماليك^(١).

لكن هذه السياسة التي رسمتها البابوية لم تلق نجاحاً بل شجعت الدول الأوروبية على ربط أواصر الصداقة مع الحكومة المصرية، وتسعى إلى عقد معاهدات تجارية تعود عليهم بكثير من المزايا^(٢).

لذلك عهدت حكومة البندقية للسفير نيكولا زينو بمفاوضة الحكومة المصرية للحصول على امتيازات جديدة لمواطنيهم، ولبت الحكومة طلبه ورحبت بكل من يفد من تجار البندقية^(٣).

كذلك عندما زار السفير أنقولا سيري مصر، تسلم عند عودته كتاباً جددت فيه الحكومة المصرية الترحيب بتجار البندقية، كما أذنت لحكومتها بأنفاذ قناصلها إلى الإسكندرية وغيرها من البلاد الخاضعة لمصر^(٤).

أما بالنسبة لأرجوانه فقد كانت من الدول الأوروبية التي فضلت التعامل التجاري مع مصر رغم ما أصدره البابا كلمنت من منشورات مختلفة أشار فيها إلى منع تصدير البضائع إلى مصر ومن يخالف ذلك القرار يتعرض لمصادرة أمواله وفقد حريته^(٥).

لكن رغم ذلك فقد أرسل جيمس ملك أرجوانة كثير من السفراء إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون لتوطيد عُرى الصداقة بينهما^(٦).

(١) ابن أبيك الداوداري: الدرر الفاخر - ص ١٥٥ - ١٥٦، أبي إياس: بدائع - ج ٢، ص ٨٤

(٢) سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص ٣٠٦، محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون - ص ٣٤٢

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٣، ص ٣٤١، ستانلي - تاريخ مصر ص ٢٨١

(٤) أحمد الشربيني: تاريخ التجارة المصرية - ص ٢٤٨، محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون - ص ٣٤٥

(٥) ستانلي لين بول: تاريخ مصر ص ٢٨١، ابن أبيك: كنز الدرر - ج ٨ ص ٣٠٨ - ٣١٠، النويري: نهاية الادب ج ٢١

وتخلى عن فكرة حرب صليبية ضد مصر ومنع المتاجرة مع المسلمين^(١)، كذلك في السنة الأخيرة من حكمه أوقف مطاردة أهالي برشلونة الذين اتهمهم بتصدير البضائع لمصر، واكتفى بتغريمه مبلغاً من المال، وظلت برشلونة محتفظة بقنصليتها في الإسكندرية ولم تستبع رعاياها فيها^(٢).

أما مدينة جنوه فكان موقفها من التبادل التجاري مع دولة المماليك واضح وصريح فهو لم يختلف عن موقف أرجونة والبندقية، حيث نظر إلى مسألة تحريم التجارة مع المسلمين^(٣) نظرة ازدراء وظلت على تواصل مع مصر لإنماء علاقتها التجارية والسياسية.

وكانت حكومة المماليك تعمل على استمالة التجار الأوروبيين إلى مصر وذلك بتوفير كل سبل الراحة للتاجر من الأمن والأمان والإقامة المريحة، لأن ذلك يعود عليها بالنفع من وراء متاجرهم كالخشب الذي يستخدم

في بناء الأساطيل الحربية والسفن التي تنقل الجنود والبضائع والمراكب النيلية التي عادة ما تكون مراكب تجارية وسياسية، أو الجوخ والفراء الذي يستخدم بصفة خاصة في صنع خلع كبار الموظفين^(٤).

ومما يدل على حرص المماليك حماية التجار الأوروبيين من أي اعتداء ورعايتهم وتوفير الأمن لهم.

(١) النوري: نهاية الادب ج ٣ ص ١٧٨، محمود محمد الحزري: مصر في العصور الوسطى - ص ٢٨٨، سعيد عاشور:

العصر المماليكي، ص ٣٠١

(٢) أحمد الشربيني: تاريخ التجارة المصرية - ص ٢٤٩، محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون - ص ٣٤١

(٣) بعد أن سقطت عكا في أيدي المماليك قويت رغبة البابا في الانتقام من المصريين وإثارة الروح الصليبية ضدهم ومنع تصدير المواد التي تستخدم في الحرب كالحديد والخشب، كذلك أصدر البابا نيقولا ويونيفاس الثامن وبنوت الحادي عشر قراراً حرموا فيه المتاجرة مع المسلمين بهذه المواد. انظر جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٤٠؛ أحمد الشربيني: تاريخ

التجارة المصرية، الهيئة المصرية للكتاب، ط ١، مصر، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٢٤٨.

(٤) البلوي المغربي: تاج المفرق - ص ١٠٥، محمود شاكر: موسوعة التاريخ الإسلامي - ج ٧ ص ١٧

ما ذكره النويري^(١): " أن فريقا من العامة اجتمع في رجب ٧٢٧هـ في حلقة قاص - وكان ممن حضر لمشاهدتها أحد أتباع رسل إمبراطور الدولة البيزنطية - ولما أخذ القاص في ذكر النبي ﷺ رفع المسلمون أصواتهم بالصلاة عليه غير أن الفرنجي لم يتبعهم في ذلك. وأخرجوه من الحلقة، لكن أحد موظفي ولاية الإسكندرية دافع عنه، وقال هذا من أتباع الرسل الذين وصلوا إلى السلطان ". فاستاء العامة من الفرنجي وضربوه، وقامت الفتنة بين العامة والفرنجية.

وطلب السلطان الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي للتحقيق معه، ولما وقف على الحقيقة أثار على السلطان يهانة القاضي عماد الدين الكندي وعزله بتهمة تحريض العامة على قتال الفرنجة وزجه في السجن هو وحاكم المدينة لتهاونهما في المحافظة على الأمن والنظام، والذي تسبب في حدوث الفتنة^(٢).

ومما يدل على حرص المماليك على سلامة التجار والترحيب بهم سواء تجار الشرق الأقصى أو التجار الأوروبيين، أنهم فرقوا بين الدين والتجارة، وقدموا كافة التسهيلات للتجار الغربيين والشرقيين، وترتب على ذلك كثرة عدد القادمين إلى مصر ودمياط والإسكندرية. وقد ذكر البلوي المغربي^(٣) في رحلته أنه رأى بمصر أناساً كثيرين من مختلف الأجناس. بل إن بعض الباحثين الأوروبيين قدروا عدد الأجانب في الإسكندرية وحدها في أوائل القرن الرابع عشر بحوالي ثلاثة آلاف تاجر أوروبي ومن الملاحظ أن هؤلاء التجار الأوروبيين فضلوا الإقامة بالمدن التجارية والنغور على شاطئ البحر الطرق التجارية:

(١) النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص ٧٨ : أحمد الشربيني: تاريخ التجارة المصرية، ص ٢٤٨ : محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٤٥.

(٢) النويري: نهاية الادب ج ٢١ ص ٢٨، محمود محمد الحريري: مصر في العصور الوسطى - ص ٢٨٩. محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون - ص ٣٤٦.

(٣) البلوي المغربي: رحلته المسماة تاج المفروق في تحلية تجار المشرق، ورقة ١٠٤ : سعيد عاشور: العصر المملوكي. ص ٣٠١ : محمود شاكر: موسوعة التاريخ الإسلامي في العهد المملوكي، ج ٧، ص ١٥ - ١٧ : محمود محمد الحريري: مصر في العصور الوسطى، ص ٢٨٧-٢٨٨.

بطبيعة الحال إن البضائع التي كانت ترد إلى مصر من أفريقيا والشرق الأقصى ومن الدول الأوروبية، ومن ثم تصل إلى الأسواق كان لابد لها من وسائل نقل لنقلها. لذلك نجد أن سلاطين المماليك لم يجدوا صعوبة كبيرة في استيراد البضائع من الخارج وذلك بسبب وقوع كثير من الموانئ وطرق القوافل تحت سيطرتهم ؛ لأن الجزء الأكبر الذي يصلح للملاحة ينتهي عند حدود مصر جنوباً^(١)، ومن ثم كثرت حركة النقل النهري بسبب نهر النيل وصارت السفن تجتازه محملة بالبضائع والمحصولات بين المدن المصرية خاصة أسواق الإسكندرية.

الطرق التجارية في مصر نوعين^(٢):

١. طرق بحرية.

٢. طرق برية.

(١) الطرق البحرية:

كانت هناك طرق بحرية كثيرة تتجول فيها السفن لنقل البضائع سواء من منتجات مصر أو الشرق أو أوروبا، ومن أهم هذه الطرق:

١ - طريق البحر الأحمر والأبيض إلى القسطنطينية:

كانت ترد كميات كبيرة من التجارة الآتية عن طريق البحرين الأحمر والأبيض من الصين

(١) المقرئبي: خطط، ج ٣، ص ١٥٧، عطية نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها - ص ١٢٥، ابن دقماق: الانتصار

- ج ٤ ص ٣٩-٤٠

(٢) عطية نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، ص ١٢٥-١٣٣ ؛ محمد حمزة إسماعيل

الحداد: السلطان منصور بن قلاوون، ص ٩٦ ؛ المقرئبي: خطط، ج ٣، ص ١٥٣ ؛ ابن دقماق، ص ٤٠، ص ٤٠ ؛ جاستون

بن محمد بن أيمن: الانتصار بواسطة عقد الأمصار. نشر فولر، بولاق القاهرة، ١٣١٤هـ، ج ٤، ص ٤٠ ؛ جاستون

بييت: القاهرة مدينة الفن والتجارة، ترجمة د/ مصطفى العبادي، سلسلة مراكز الحضارة، مكتبة لبنان، بيروت،

١٩٩٨م، ص ١٦٧ ؛ جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٢٤.

والهند واليمن وأوروبا إلى الفسطاط التي أصبحت مركزاً كبيراً لتلك التجارة وتصدر تلك البضائع إلى سائر البلاد المصرية خاصة مصر^(١).

وكان من أثر قرب النيل من الفسطاط وكثرة المراكب التي تصل إليها محملة بالبضائع أن أصبحت هذه المدينة أكثر رواجاً لتلك البضائع.. وبناء على ذلك رخصت الأسعار يقول المقرئزي^(٢): " ولا نجد ذلك الرخص في القاهرة وذلك لبعدها ساحلها عن المدينة "

ولا ننسى سيطرة المماليك على البحر الأحمر^(٣) فإن ذلك سهل التجارة المارة من البحر الأحمر إلى مصر.

٢ - طريق من البحر الأحمر إلى عيذاب:

كانت منتجات الشرق تخرج من الصين والهند وسيلان واليمن وتسير بطريق البحر الأحمر وتمر بخليج عدن وتصل عيذاب حيث تفرغ المراكب ما عليها من البضائع. ثم تحمل القوافل البضائع إلى قوص ومن قوص تحمل في النيل فرع رشيد وتصل إلى الإسكندرية.

٣ - طريق دمياط إلى القاهرة^(٤):

لقد كانت دمياط أهم ميناء مصري على البحر الأبيض المتوسط ترسو السفن عندهم فكانت ترد التجارة من أوروبا إلى مصر عن طريق البحر الأبيض وتوضع في ميناء دمياط

(١) جاسون فيت: القاهرة مدينة الفن والتجارة - ص ١٩٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٠٠.

(٢) المقرئزي: خطط، ج ١، ص ٣٦٧؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك، ص ٢٦٣؛ محمد رزق سليم: عصر سلاطين

● المماليك، ص ٢٤٠؛ أحمد محمد العبادي: التاريخ الأيوبي والمملوكي، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٣) محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك، ص ٢٦٣.

(٤) نظراً لأهمية دمياط التاريخية والاقتصادية. انظر ابن الأثير، على بن أحمد بن الكرم: الكامل في التاريخ، ١٢ جزء.

بولاقي. القاهرة، ١٢٤٧هـ، ج ٩، ص ٣١٥؛ المقرئزي: السلوك، ج ١، ص ٢٠١؛ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين

المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، نشر عین للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، القاهرة، ط ١.

١٩٩٨م، ص ٢١٠؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٣٥.

وكذلك البضائع التي ترد من الدلتا وفرع دمياط وفرع رشيد تجمع عند بلدة شيطانوف التي تبعد عن القاهرة نحو سبعة أميال ثم تحمل في السفن (المراكب النيلية) إلى القاهرة.

٤ - طريق اسيوط الى السودان^(١):

هذا الطريق يمر بالوحدات الى السودان متجها الى غانت وأورغشت

٥ - طريق الإسكندرية (ميناء الإسكندرية)^(٢):

كانت مدينة الإسكندرية من أكبر الموانئ التجارية في عصر سلاطين المماليك. فالتجار الأوروبيين يقدمون إليها من مختلف مناطق أوروبا لنقل الخزف والقيشاني الصيني والزمرد الهندي وناب الفيل الحبشي ولؤلؤ الخليج الفارسي وما تحتاج إليه بلادهم من المنتجات المصرية كالبلح والأقمشة الحريرية والكتان وقد برعت مصر في هذه المصنوعات التي ذاع صيتها في أوروبا والشرق. يقول القلقشندي^(٣): " وإليها تهوى الركائب، كذلك التجار من الشرق الأقصى يأتون إليها ومعهم منتجاتهم من الفلفل والزنجبيل والبخور وأنواع العطور المختلفة ومنها تصدر إلى أنحاء مصر والقاهرة "

من ذلك نلاحظ أفا الإسكندرية لم تكن ميناء بحري فقط بل ازدهرت بأنها سوق تجاري كبير يأتيه التجار من كل أقطار العالم.

(١) دائرة المعارف الإسلامية: مادة اسيوط - ج ٢ ص ٢٠٢، شوقي حبيب: التجارة بين مصر وأفريقيا - ص ٧٠.

(٢) أحمد محمد العبادي: كتاب في التاريخ الأيوبي والمملوكي، ص ٢٤٤؛ أحمد محمد العبادي: قيام دولة المماليك

الأولى في مصر والشام، ص ٢٤٠؛ محمد رزق سليم: عصر سلاطين المماليك، ص ٣١٢.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٠٤؛ بيرس: زبدة الفكر، ج ٩، ص ٢٤٣؛ ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة،

٦ - طريق من سيلان إلى مصر^(١):

لم تكن السفن التجارية تعبر طريق البحر الأحمر فقط، بل كانت تخرج السفن أيضاً من سيلان إلى الخليج الفارسي ومن ثم العراق فالشام، ومنها إلى مصر بناء على أمر ملك سيلان حتى لا يضطروا إلى المرور ببلاد اليمن.

٧ - طريق الشام إلى مصر:

وذلك عن طريق البحر المتوسط حيث يخرج الدماشقة محملين بالبضائع إلى الإسكندرية.

(٢) الطريق البري^(٢):

١ - طريق الجنادل إلى أسوان:

كان تجار النوبة يأتون إلى النيل عند الجنادل وتنقل تجارتهم على ظهور الجمال حتى يصلوا إلى أسوان التي كانت مركزاً هاماً للتجارة، ومنها تحمل البضائع والمنتجات إلى بلاد النوبة.

٢ - عيذاب الإسكندرية:

كانت منتجات الشرق الأقصى والأفريقية تصل إلى مصر من الصين والهند والحبشة عن طريق البحر الأحمر وتممر بخليج عدن إلى عيذاب ومنها تحمل البضائع على ظهور الإبل في الصحراء إلى قوص قاعدة مصر العليا ثم تواصل سيرها في الاتجاه الغربي إلى قرية العطف التي تقابل فوه ومن هذه القرية إلى الإسكندرية قبل حفر الترعة التي حفرها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٦٠هـ إلى الإسكندرية.

(١) عطية نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، ص ١٢٥؛ محمد حمزة الحداد: السلطان منصور بن قلاوون، ص ٦٩.

(٢) المقرئزي: خطط، ج ١، ص ١٩٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٠٠؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٢٤.

ولم يكن طريق عذاب تحمل منه البضائع إلى قوص طوال عهد قلاوون بل إن هذا الطريق أهمل بعد سنة ٧٦٠هـ وفقدت أهميته منذ ذلك الوقت^(١).

٣ - طريق السويس إلى القاهرة:

كانت القوافل تنقل البضائع التي ترد من البحر الأحمر إلى السويس ومنها تنقل على ظهر الإبل (القوافل) إلى القاهرة^(٢).

٤ - من القسطنطينية إلى القاهرة:

حيث تضع المراكب البضائع الآتية من الشرق وأوروبا عن طريق البحر الأحمر والأبيض في القسطنطينية ومن القسطنطينية تنقل القوافل التجارية البضائع إلى كل أنحاء مصر خاصة القاهرة التي كانت تزخر بالأسواق التجارية، ومن القسطنطينية نفسها أيضاً^(٣) الأسواق:

بعد أن تعرفنا على تجارة مصر الداخلية والخارجية وطرق نقلها، كان لابد لنا من ذكر أماكن تصريف هذا النشاط التجاري في الأسواق التجارية في عصر أسرة قلاوون خاصة السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي كان أكثر اهتماماً بكل مرافق الدولة على الصعيد الداخلي والخارجي.

وكانت تمتاز الأسواق بأن كلاً منها ينفرد ببيع أنواع خاصة من المنتجات المحلية والبضائع المستوردة فهي تعج من سلع ومتاجر التجار وكان عددها كبير جداً فيذكر المقرئ

(١) المقرئ: خطط، ج ١، ص ١٠٢؛ آدم ميز: الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٣٢١؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٢٥.

(٢) المقرئ: خطط، ج ١، ص ٣٤٢؛ سعيد عاشور - العصر المماليكي، ص ٣٠٠؛ سعيد عاشور - مصر في عصر دولة المماليك البحرية - ص ٢٣.

(٣) المقرئ: خطط، ج ١، ص ٣٦٧؛ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص ٢٨٧؛ محمد جمال سرور - دولة بني قلاوون، ص ٣٢٥. سعيد عاشور - العصر المماليكي، ص ٣٠٠.

قائلاً^(١): " وقد كان بمدينة مصر (الفسطاط) والقاهرة وظواهرها من الأسواق شيء كثير جداً قد باد أكثرها، ومما يدل على كثرة عددها أن الذي خرب من الأسواق فيما بين أراضي اللوق إلى باب البحر بالمقس إثنا وخمسون سوقاً أدركتها عامرة فيها ما يبلغ حوانيته نحو الستين حانوتاً، وهذه من جملة ظاهرة القاهرة الغربي فكيف ببقية الجهات الثلاث من القاهرة ومصر "

وسمع المقرئ من أدرکهم من المعمرين أن بشارع القصبة وهو أعظم أسواق مصر يمتد ما بين أول الحسينية والمشهد النفيس كان يوجد إثنا عشر ألف حانوت^(٢).

وقد أدرك هذه المسافة عامرة بالحوانيت والآن وبعد أن بدأنا بالحديث عن الأسواق كان لابد لنا أن نتعرف على هذه الأسواق واختصاصاتها ومواقعها لما لها من أهمية في النشاط التجاري.

١ - سوق القصبة:

هو الشارع الأعظم الذي كان يعرف بقصبة القاهرة أو شارع القاهرة ويمتد من باب الفتوح إلى باب زويلة وهو أكبر شوارع القاهرة وأكثرها عمراناً بالحوانيت والخانات وأشدها ازدحاماً بالناس، وهو المعروف الآن بشارع المعز لدين الله الفاطمي ويدخل ضمنه جزء الفضاء العظيم الذي كان واقعاً بين القصرين الفاطميين وقد تضاءل هذا الفضاء بما أقيم على جوانبه من مساجد ومدارس وأضرحة ومبان أخرى في عهد الأيوبيين والمماليك، وكان يتفرع من شارع القصبة عدة أسواق ومن الأسواق المتفرعة منه^(٣).

(١) المقرئ: خطط، ج ٢، ص ١٠٢؛ سعيد عاشور: الأيوبيين والمماليك، ص ٢١٧؛ د/ محمود محمد الحريري: مصر في العصور الوسطى، ص ٢٨٧-٢٨٨؛ محمود شاكر: موسوعة التاريخ الإسلامي، العهد المملوكي، ج ٧، ص ١٥-١٧.

(٢) ابن دقماق: الانتصار، ج ٤، ص ٣٢؛ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص ٢٨٦.

(٣) ابن دقماق: الانتصار، ج ٤، ص ٣٢؛ المقرئ: خطط، ج ٢، ص ٩٨؛ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص ٢٢٦؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٢٣.

٢ - سوق باب الفتوح:

وهو مختص ببيع المواد الغذائية وفي داخل باب الفتوح^(١) حوانيت اللحامين والخضريين والفامين والشرابية وغيرهم. وهو أعظم أسواق القاهرة وأكثرها عمراناً، وبعده الأهالي لشراء أنواع اللحم الضأن والمعز، وأصناف الخضروات.

٣ - سوق يرجوان:

وهي حارة يرجوان^(٢)، قريب من الجامع الحاكمي. ويكثر به بيع لحوم الضأن والبقر وكان به فوق ذلك كثير من حوانيت الزياتين والجبانين وألخازين واللبنانيين والطباخين والشوايين والعطارين والخضريين.

ويذكر أنه من أعظم أسواق القاهرة لوفرة الأطعمة المطبوخة والنيسة وأنواع المتاع المختلفة، وبه الحمامات والأفران، وكان فيه قباني برسم ووزن الأمتعة والمال والبضائع.

٤ - سوق البندقانيين:

كان به عدة حوانيت لبيع المأكولات من الشواء والطعام المطبوخ وأنواع الأجبان والألبان والبوارد والخبز والفواكه.

٥ - سوق القصرين:

وهو زاخر بأصناف المأكولات من اللحوم والحلويات والفاكهة وغيرها، وقد ذكر المقريزي: "أن الرطل من لحم الدجاج أو الأوز المطبخن كان يباع بهذا السوق بدرهم، كما كانت تباع به العصافير المقلوبة، كل أربعة وعشرين بدرهم".

(١) قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص ٢٢٧، المقريزي: خطط، ج ٢، ص ٩٩، ٥. ابن أبيك الداوداري:

الدرر ص ١٢٣، سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص ٢٩٠ - ٢٩١

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة - ج ٩ ص ١٧٨، ابن أبيك: كنز الدرر - ج ٩ ص ٢٨٨، محمد جمال سرور:

دولة بني قلاوون، ص ٣٢٣.

وقد فاقت شهرة سوق القصرين^(١) عن غيره من الأسواق لكثرة ما به من البضائع وازدحامه بالأهلين الذين يفدون إليه لشراء ما يلزمهم من حاجيات المعيشة، وفي ذلك يقول المقرئزي^(٢): " ولقد حدثني واجد ممن قدم مع قاضي القضاة عماد الدين أحمد الكركي أنه لما قدموا من الكرك سنة ٧٩٢هـ كادوا يذهلون عند مشاهدة سوق بين القصرين وقال لي ابنه محب الدين محمد: " أول ما شاهدت بين القصرين حسيت أن رقة أو جنازة كبيرة تمر من هناك، فلما لم ينقطع المارة سألت ما بال المارة مجتمعين للمرور من هنا، ف قيل لي هذا دأب البلد دائماً "

٦ - سوق الزهومة:

ويسمى كذلك نسبة لباب الزهومة أحد أبواب القصر الفاطمي^(٣)، كان هذا السوق موصوفاً بحسن ما يباع فيه من المأكولات وطيبها، وهو أجمل أسواق القاهرة وأفخرها.

٧ - سوق الدجاجين:

وكان يباع فيه الدجاج والأوز شيء كثير للغاية وفي كل جمعة يباع فيه أصناف القماري والهزازات والسنجر والبيغاء والسمان، ومن السمان ما يبلغ ثمنه مئات الدراهم وكذلك بقية الطيور المسموع يبلغ الواحد منها نحو الألف درهم لتنافس الناس عليها وكثرة المعتنين بها، وكان يقال لهم غواة طيور المسموع عدا الطواشية فإنه كان يبلغ بهم الترف يقتنوا السمان

(١) قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ص ٢٢٤؛ محمد أمين أمين: وثائق وقف السلطان قلاوون على اليمارستان المنصوري، ص ٣٢٦.

(٢) المقرئزي: خطط، ج ١، ص ٩٣؛ المقرئزي: السلوك، ج ١، ص ١٨٤؛ قاسم عبده قاسم: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص ٤٣؛ د/ عبده علي: الشرق الأدنى القديم وحضارته، دار نهضة الشرق، بيروت، سنة ٢٠٠١م، ج ٣، ص ٢٣٩؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٢٢٣؛ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، ص ٢٢٤-٢٢٥؛ مركز البحوث الاجتماعي، ط ١٩٩٨م.

(٣) المقرئزي: خطط، ج ٢، ص ٩٦-٩٧، محمد أمين - وثائق السلطان - ص ٣٢٧، د/ عبده علي: الشرق الأدنى - ج ٣، ص ٣٤٠، قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك ص ٢٢٥.

ويتأنقوا في أقفاسه حتى بلغ الطائر من السمان مرة بألف درهم فضية ومرة أخرى الخمسين دينار من الذهب^(١).

٨ - سوق قيسارية:

يباع بقيسارية ابن ميسر الكبرى الأقمشة الكتانية والطرح، ويتردد عليها تجار يومي الأحد الأربعاء لشراء هذه الأوصاف^(٢).

٩ - سوق الجملون:

كان بهذا السوق كثير من البزازين الذين يبيعون الثياب المنسوجة من الكتان والقطن، وينادون فيه على الثياب بحراج جراج^(٣)، وبه عدد من الخياطين والبائبة الذين يقومون بغسل الثياب وصقلها (كيها).

١٠ - سوق أمير الجيوش:

"ويطلق عليها سويقة أمير الجيوش" كان بها عدد كبير من حوانيت الرفائين والحياكين والرسامين والخياطين، ويباع بهذا السوق سائر الثياب المخططة والأمتعة من الفرش ونحوها^(٤).

(١) المقريزي: خطط، ج ٢، ص ٩٦-٩٧؛ قاسم عبده قاسم: تاريخ مصر الاجتماعي، ص ٤٢، ٧- رمضان عبده علي:

الشرق الأدنى القديم - ص ٢٣٨

(٢) المقريزي: خطط، ج ٢، ص ٩٢، محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٩٢٢، ٨- زكي محمد حسن

- الفنون الإسلامية - ص ٢٠١ - ٢٧٤

(٣) حراج: كلمة يتعلق بها الباعة مرتين أو مرارا قبل أن يبيع ببعاً باتاً ما بيده، فالحراج إذن وقف البضاعة على الدلالة عند ثمن لا يزداد عليه. انظر الكرمل، ماري البغدادي: النقود العربية وعلم النميات، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٩٣٩م، ص ٦٢؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص ٢٢٣؛ قاسم عبده قاسم: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص ٤٣؛ د/ رمضان عبده علي: الشرق الأدنى القديم وحضارته، ص ٢٣٩.

(٤) ميتز: الحضارة الإسلامية - ج ٢ ص ٢٧١، المقريزي: خطط، ج ١، ص ٢٩٨، المقريزي: خطط، ج ١، ص ٢٢٧،

القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٧٢

١١ - سوق الفراء:

يعرف هذا السوق بسوق القرائين، ويسكن فيه صناع الفراء وتجارهم، ولم يكن اقتناء الفراء شائعاً في عصر أسرة قلاوون وفي هذا السوق تباع أنواع الفراء كالسمور والوشق والعنائم والسنجاب^(١).

١٢ - سوق الشرايش:

نسبة إلى الشرايش التي يعطيها السلطان لمن يؤمره من المماليك، وهي أغطية للرأس مثلثة الرأس يلبس بغير عمامة، وقد شاع استعمالها في عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ثم حل محلها الكلونات الجركسية، وكان لهذا السوق فريق من التجار يشتري التشاريف والخلع ثم يبيعها للسلطان والأمراء^(٢).

واستجد الأمير رسلان في عهد السلطان الناصر محمد قلاوون القباء الذي يعرف بالسلاري.

١٣ - سوق الخلعين:

بالقرب من باب زويلة وهو الذي يتعاطى بيع الثياب الخلع، وهي التي لبست (المستعملة) وقد كان من أعمر أسواق القاهرة لكثرة ما يُباع فيها من ملابس أهل الدولة وغيرهم^(٣).

(١) المقرئ: خطط، ج ٢، ص ١٠٣، قاسم عبده قاسم: تاريخ مصر ص ٢٢٣، محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون. ص ٣٢٢

(٢) المقرئ: خطط، ج ٢، ص ٦٥؛ زكي محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، نشر دار قسطنطينية ووزيق، نجلاء عز الدين، بيروت، ١٩٤٢م، ج ١، ص ٢٧٤؛ قاسم عبده قاسم: دراسات من تاريخ مصر، ص ٢٢٤.

(٣) الهوارى: وصف محتويات دار الآثار - ص ٩٨

١٤ - سوق الأخفافين:

وفيه يُباع أخفاف النساء ونعالهن^(١).

١٥ - سوق الكفتين:

ويشتمل على عدة حوانيت لعمل الكفت، وهو ما تطعم به أوني النحاس من الذهب والفضة ولا تخلو دار في مصر والقاهرة من عدة قطع نحاس مكفت، ولا بد أن يكون في جهاز العروس ذكة النحاس^(٢). وكانت العروس من بنات الأمراء، والوزراء والأعيان يعمل لها سبع ذكات^(٣).

١٦ - سوق الشماعين:

وهو سوق يباع فيه الشمع الذي تزداد به الحركة التجارية بصفة خاصة في شهر رمضان لكثرة ما يشتري من الشموع الموكبية التي تزن الواحدة منهن عشرة أرطال فما دونها، والشمع الذي يحمل على العجل يبلغ وزن الواحدة منها قنطاراً^(٤).

وهذا السوق كان يزدهر في مواسم معينة إلا أن حوانيت هذا السوق تظل مفتوحة حتى منتصف الليل مما كان يغري الناس باتخاذها أماكن للنزهة.

١٧ - سوق المهاميز:

وهو معد لبيع المهاميز، وقد أدرك المقرئزي الناس وهم يتخذون المهماز من الذهب

(١) الهوارى: وصف محتويات دار الآثار - ص ٩٨

(٢) بالنسبة لوصف الذكة وتوابعها. انظر علي إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٤م، ص ١٤؛ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص ٢٢٥.

(٣) انظر علي حسن: مصر في العصور الوسطى، ص ٥٦؛ زكي محمد حسن: أطلس الفنون، ص ٢٠٠-٢٠١؛ شوقي عبد القوي عثمان حبيب: التجارة بين مصر وأفريقيا، ص ٣٠١.

(٤) المقرئزي: خطط، ج ٢، ص ٩٦؛ قاسم عبده قاسم: أسواق مصر عصر سلاطين المماليك، ١٩٩٨م، ص ٢٢٥؛ زكي حسن: أطلس الفنون، ص ٢٧٤؛ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص ٢٢٥.

الخالص وهؤلاء المترفون، وإلا فيتخذون القالب من الحديد ثم يطلى بالذهب أو الفضة. وكانت تباع بهذا السوق اليذلات الفضة التي كانت لجم الخيل وسلاسل الفضة والذهب^(١).

١٨ - سوق السلاح:

ويقع فيما بين مدرسة الظاهر بيبرس وبين قصر بشتاك ويبيع في هذا السوق لوازم الجنود من الأسلحة ومعدات الركوب وأدوات القتال وأيضاً القسي والنشاب والزرديات والسيوف والخناجر وغير ذلك من آلات السلاح^(٢).

١٩ - سوق اللجمين:

وهو مجاور لسوق المهاميز وكان لهذا السوق حركة تجارية كبيرة في عصر أسرة قلاوون وأهمية خاصة وذلك لولع المماليك بركوب الخيل وحرصهم على اقتناء ما يلزمهم من اللجم الفاخرة^(٣). وبه تُباع اللجم وغيرها من المعدات الجلدية.

٢٠ - سوق القفصات:

وهو تجاه شايك القبة المنصورية، كان يجلس أناس على تخوت فوقها أقفاص صغار من حديد مشبك فيها طرائف من الخواتم والفصوص، وأساور النساء وخلخلهن وغير ذلك^(٤).

وهذه الأقفاص التي توضع على الأرض يأخذ أجرة أرضها المارستان المنصوري، وهؤلاء الباعة الجائلين يسمون أرباب المقاعد يجلسون دائماً أمام حوانيت، السلاح،

(١) ابن عبد الظاهر: سيرة السلطان قلاوون، ص ٢٣، الهواري - وصف محتويات دار الآثار - ص ٦٦، المقرئ: خطط، ج ٢، ص ٩٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ٩٧.

(٢) ابن عبد الظاهر: سيرة السلطان قلاوون، ص ٢٢، الهواري - وصف محتويات دار الآثار - ص ٦٦ - ٦٨ - مطبعة الاعتماد - مصر ص ١٩٢٦.

(٣) المقرئ: خطط، ج ٢، ص ٩٧ - ٩٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٣، ص ٦ - ١٢٦؛ قاسم عبده: النيل والمجمع المصري، ص ٦١ - ٦٣؛ قاسم عبده: عصر سلاطين المماليك، ص ٢٢٥.

(٤) المقرئ: خطط، ج ١، ص ٩٧ - ٩٨، قاسم عبده: النيل والمجمع المصري، ص ٦٤.

وحوانيت الصيارفة بالإضافة إلى السوق المخصص لهم وهو سوق القفصيات^(١).

٢١ - سوق المحارين:

وهو سوق فيه حوانيت لعمل المحار - مفردة محارة - وهي التي يسافر فيها - حاج إلى الحجاز وبيت المقدس وغيره وسوق الصاغة ما يزال مكانهم القديم إضافة إلى سوق الخراطين لبيع المهد الذي يُرى فيه الطفل^(٢).

٢٢ - سوق الصناديق:

من الأسواق التي تباع بها حاجات الناس اليومية، وكانت تباع فيه الصناديق والخزائن والأسرة وغيرها من المصنوعات الخشبية التي تعد من ٢٣ - سوق الجوخ:

وهذا النوع من التجارة كان يستورد من أوروبا وتعمل منه ملابس الجنود ومستلزمات الحرب، وقد راج استخدامه نتيجة للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر^(٣).

٢٤ - سوق العياطين:

يرجع هذا الاسم إلى أن ناصر الخاصر السلطاني في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون طرح على تجار هذا السوق كمية من غسل القصب (أي أجبرهم على شرائها) وكانت الأسعار التي طلبها باهظة فوقف التجار في طريق موكب السلطان " وعيطوا " حتى أعفاهم السلطان وسمي ذلك السوق بهذا الاسم العياطين وهذه الكلمة في مصر بمعنى الصياح^(٤).

(١) للاستزادة انظر ابن دقماق: الانتصار، ج ٤، ص ٣٢ : المقريري: خطط، ج ٢، ص ٩٤ : قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص ٢٢٧.

(٢) سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص ٢٩٢. قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص ٢٢٥.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٧٢. ٨- زكي محمد حسن - الفنون الإسلامية - ص ٢٧٤ : سعيد عاشور-

العصر المماليكي، ص ٢٩٠.

(٤) المقريري: خطط، ج ١، ص ١١٦ : ابن دقماق: الانتصار، ج ٤، ص ١٤.

٢٥ - سوق الحلاوين:

وهذا السوق كان مخصصاً لبيع الحلوى المصنوعة من السكر، ويذكر المقرئزي: " أن هذه الحلوى كانت تصنع على هيئة حيوانات سباع وقطط، وكانت هذه التماثيل السكرية تسمى العلاقة لأنها تعلق بخيوط على أبواب الحوانيت^(١).

إضافة إلى ذلك سوق العراقيين وسوق اليهود وسوق البراغيث وسوق لحاف وسوقه معتوق وغيرها من الأسواق يقول الدكتور قاسم عبده: وبالطبع لم نقصد إحصاء هذه الأسواق إنما القصد التعرف على طبيعة أسواق مصر في ذلك الزمان^(٢).

هذه هي الأسواق مجملة التي كانت تباع فيها بضائع التجار سواء من التجارة الداخلية أو التجارة الخارجية حيث أنها تشتمل بالنشاط والحيوية والتبادل التجاري المستمر وبطبيعة الحال هي لا تمثل كل الأسواق كما ذكر الدكتور قاسم سابقاً، إنما هي أمثلة على مدى التنوع في أنماط التجارة في هذه الأسواق.

إضافة إلى ذلك نجد أن مصر قد حفلت بالمنشآت الخاصة بالتجار الأتراك واليمنيين والفرس والمغاربة والشاميين وغيرهم، وجرت العادة أن التجار المسلمين الوافدين من بلد واحد ينزلون في وكالة معينة حيث يلقون بعضهم بعضاً فوكالة قوصون مثلاً كان ينزلها التجار الوافدين من الشام ببضائعهم مثل الزيت والصابون والفسق^(٣).

هذا وبعد أن ذكرنا بعض الأسواق في مصر نجد أن سلاطين المماليك لم يتركوها

(١) قاسم عبده: النيل والمجتمع المصري، ص ٧١؛ سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة. سنة ١٩٦٢م. ص ٨٦

(٢) قاسم عبده: النيل والمجتمع المصري، ص ٧٢

(٣) ميتز: الحضارة الإسلامية - ج ٢ ص ٢٧٣، المقرئزي: خطط، ج ٢، ص ٩٢-٩٤، محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٢٥، سعيد عاشور - العصر المماليكي، ص ٣٠٨، سعيد عاشور: المجتمع المصري ص ٣٠٨، محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك، ص ٣٠٤

دون رقيب أو حسيب بل كانوا يراقبون حركة البيع والشراء، وعهدوا بذلك إلى المحتسين بالطواف ليلاً ونهاراً للتفتيش على الباعة وضبط من يحاول التلاعب في الأسعار أو الأوزان أو أصناف البضاعة^(١).

وقد روعي في المحتسب دائماً أن يكون: " ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين " وكانت رقابة المحتسب أشد ما تكون على الأطعمة والمشروبات التي تباع في الأسواق والطرق لتأكد من سلامتها ونظافتها حرصاً على صحة الناس، فإذا وجد بعضها فاسداً أخذ البائع بالشدة^(٢).

وكان المحتسب أيضاً يراقب التطفيف في المكايل والموازين ويوقع العقاب على من تثبت إدانته. يقول المقرئزي عند كلامه على سوق باب الزهومة: " أن متولي الحسبة بالقاهرة عبّر على رجل بواردي بهذا السوق يقال له محمد بن خلف عنده مخزن فيه حمام ووزرايزر متغيرة الرائحة.. فأدبه وشهره.. "^(٣).

هذا وقد قاوم السلطان الناصر الأثمان الباهظة التي كان يفرضها الباعة وقت الغلاء فجعل يضرب بالسواط باعة الدقيق والخبايز الذين يتغالون في البيع، كما أرغم الأمراء على فتح مخازنهم لسائر الشعب^(٤).

(١) المقرئزي: خطط، ج ٢، ص ٩٦؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٦م، ص ٣٠٨-٣٠٩؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك، ص ٢٠٤-٢٠٨؛ سعيد عاشور: المجتمع المصري، ص ٣٠٩؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٢٦؛ محمد طقوش: عصر المماليك، ص ٢٩٧.

(٢) المقرئزي: خطط، ج ١، ص ٨٨-٨٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٤٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٣٢٣؛ سعيد عاشور: عصر المماليك، ص ٣٠٩؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٢٨.

(٣) المقرئزي: خطط، ج ٢، ص ٩٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى - ج ٣، ص ٤٤٣؛ المقرئزي: إغاثة الأمة، ص ٣٩. محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٢٦؛ عزيز عطية: تاريخ المماليك - ص ٣٩٩، أبي إياس: بدائع الزهور ومواقع الدهور، ج ٢، ص ١٢٩.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ص ٤٤؛ قاسم عبده: النيل والمجتمع، ص ٣٥-٣٦.

أيضاً لقد حرص سلاطين المماليك الحفاظ على ممتلكات التجار وذلك بتلافي حدوث الحرائق بالأسواق التجارية^(١) وعدم تعرض أرواح رعاياهم وأموالهم للدمار، لذلك عهدوا بذلك إلى صاحب العسس بالإشراف عليها فكان يجلس بعد صلاة العشاء كل ليلة بمحطة المطافي تجاه سوق الجملون الكبير بالقرب من حارة الجدرية بالغورية، وينصب أمامه مشعل يشتعل بالنار طوال الليل وحوله بعض أعوانه، وكثير من السقاين والتجارين وغيرهم من العمال خشية حدوث الحريق بالليل فيبادرون إلى إطفائه.

الخانات (الفنادق):

نظراً لتفاقم حركة النشاط التجاري وكثرة التجار الوافدين إلى مصر، كان لابد من بناء الخانات (الفنادق)^(٢). وهي أشبه بالأسواق الكبيرة، حيث أنهم يضعون بضائعهم في أسفلها وينامون في أعلاها، ولم يكن استخدام الفنادق مقصوراً على التجار الغرباء بل إن التجار المصريين وأصحاب رؤوس الأموال كانوا يودعون في بعض هذه الخانات صناديق أموالهم، وكأن هذه الفنادق أشبه بالبنوك في الوقت الحاضر. تفي بغرض السكن وحفظ المال والتجارة^(٣).

وكان يعلو الأسواق الفنادق أو الخانات رباع يسكنها الباعة والصناع. وتتكون هذه الرباع من عدة مساكن. تستأجر بأجور زهيدة، ومن بين تلك الرباع وكالة

(١) ابن الفرات. ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم: تاريخ الدول والملوك. نشر د/ قسطنطين رزيق ونجلاء عز الدين، بيروت. ١٩٤٨م، ج ٧، ص ١٩٨؛ زكي محمد حسن: فنون الإسلام، ص ٣١٨؛ المقرئ: إغاثة الأمة بكشف الغمة. نشر الدكتور / جمال الدين الشيال، ومحمد مصطفى زيادة. القاهرة، ج ٣، ص ٣٦-٤٠؛ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٢) تطلق مكي مخازن أو خانات على الفنادق، وهو منشق من كلمة يونانية باندوكيون Pandokeion ويطلق عليها اليوم في مصر (بنسيون). دلال جبر: الحضارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٥٧م، ج ٢، ص ٣٢٧.

(٣) ابن شاهين: غرس الدين خليل الظاهري - زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك - تحقيق راويس بولس: دار العرب للكتاب - بيروت ١٩٨٨ م وطبع في باريس ١٨٩٤ م - ص ١٣٢

قوصون التي كانت تشتمل على ثلاثمائة وستين بيتاً، ولم تكن وكالة قوصون^(١) هي التي امتازت دون غيرها بما فوقها من ربايع بل كان في أعلى فندق طرنطاي ووكالة باب الجوانية ربايع كبيرة.
ومن أهم الخانات:
خان سرور:

وهو في الحقيقة خانين: أحدهما كبير والثاني صغير، وكان موضعه خزانة الورق إحدى خزائن القصر الفاطمي الكبير وكان قبل تشييده ساحة لبيع الرقيق وقد أدرك المقرئزي^(٢) هذا الخان: " وقال إنه في غاية العمارة تنزله أعيان التجار الشاميين بتجارتهم ".
خان بلال المغيبي:

يقع فيما بين خط حمام خنية وحارة العدوية. أنشأه الأمير الطواشي حسام الدين بلال المغيبي خادماً الصالح نجم الدين أيوب، وزاد في هذا الخان السلطان الناصر محمد قلاوون وفي هذا الخان كان التجار وأرباب الأموال يودعون صناديق الأموال المملوءة بالذهب والفضة ويذكر المقرئزي^(٣) فيقول: " كنت أدخل فيه فإذا بدائرة صناديق مصطفة ما بين صغير وكبير لا يفصل عنها من الفندق غير مساحة قصيرة بوسطة. وتشتمل هذه الصناديق من الذهب والفضة على ما يجلب وصفه ".

(١) وكالة قوصون في درب الرشيد وقد أمر الأمير جمال الدين محمود بن علي الاستادار بهدمها ٧٩٣هـ وبناها فندقاً ورعاً بأعلاه فلما كملت أمر السلطان أن تكون دار وكالة يرد إليها ما يصل إلى القاهرة وما يرد من صنف متجر الشام من البحر كالزيت والرب والدبس وما يرد في البر من أنواع التجارة. انظر د/ محمد السلمي: الممالك في مصر والشام. ص ٤١٥.

(٢) المقرئزي: خطط، ج ٢، ص ٩٢.

(٣) المقرئزي: خطط، ج ٢، ص ٩٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٤٢-٥٥.

خان منكورش:

أنشأه منكورش أحد ممالك السلطان صلاح الدين الأيوبي، وهو بالقرب من الجامع الأزهر، وعرف بعد ذلك بخان النشارين، وكان ينزل بهذا الخان الكثير من التجار المسلمين نظراً لقربه من الجامع لأداء الصلوات الخمس^(١).

خان قوصون: (وكالة قوصون):

هذه الوكالة تدخل في عداد الفساق والخانات، ينزلها التجار بضائعهم خاصة تجار بلاد الشام وكانت بضائعهم تشتمل على الزيت والشرنج والصابون والحبس والفسق والجوز واللوز والخرنوب والرب ونحو ذلك. وتقع فيما بين الجامع الحاكمي ودار سعيد السعداء. وقد شهدها المقرئزي ودهش لكثرة ما هنالك من أصناف البضائع وازدحام الناس وشدة أصوات العتالين، ويعلو الوكالة رباع تشتمل على ثلاثمائة وستين بيتاً عامرة بالسكان، ويقدر سكانها بنحو أربعة آلاف نفس ما بين رجل وامرأة صغير وكبير^(٢).

خان التفاح (فندق التفاح):

وهو تجاه باب زويلة ترد إليه الفاكهة من كل نواحي القاهرة من التفاح والكمثرى والسفرجل الواصل من البلاد الشامية ومنها ينقل إلى سائر أسواق مصر والقاهرة أنشأ هذا الفندق طقوزدمر - وخارج هذا الدار عادة حوانيت لبيع الفاكهة وهي مسقوفة حتى لا يصل إليها حر الشمس^(٣).

(١) ابن جبير: رحلة - ص ٢٨٨، سعيد عاشور: الأيوبيين والمماليك - ص ١٥٢

(٢) محمد حمزة إسماعيل الحداد: السلطان منصور بن قلاوون، مكتبة مديبولي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٧٠٤؛ عطية نعيم

ركي: طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب، ص ١٢٥؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٢٦؛ محمد

سهيل طقوش: تاريخ المماليك، ص ٢٩٧.

(٣) محمد حمزة إسماعيل: السلطان منصور بن قلاوون - ص ٧٠٥، عطية ركي: طرق التجارة - ص ١٢٦، عزيز عطية:

تاريخ المماليك - ص ٤١٨، المقرئزي: خطط، ج ٢، ص ٢٨ - ٢٩

خان الجوانية:

ويطلق عليه وكالة الجوانية - مكانها تجاه باب الجوانية من القاهرة بين درب الرشيد ووكالة قوصون. بناها الملك الظاهر برقوق. وكان يصل إليها كل ما يرد إلى القاهرة من لبحر من بلاد الشام من أنواع التجارة وكذلك ما يرد في البر يدخل إلى هذا الفندق (الوكالة) ^(١).

خان الخليلى:

أنشاء الأمير جهار كس الخليلى وهو أمير خور السلطان الظاهر برقوق، في مكان تربة الخلفاء الفاطميين التي كانت تجاور القصر الشرقي، وتعرف باسم تربة الزعفرانة كان ينزل بهذا الخان التجار من الشام ومن أفريقيا والشرق، وقد أوقف هذا الخان وغيره من المباني على فقراء مكة. وجعل ريعها خبزاً يوزع عليهم ثم استبدل نقوداً ^(٢).

خان طرنطاي (فندق طرنطاي):

كان ينزل فيه تجار الزيت القادمين من الشام ^(٣).

خان أبي الثناء (فندق أبي الثناء):

في زقاق القناديل على مقربة من جامع عمرو بن العاص، وقد ذكر ابن جبير ^(٤): "أن هذا الفندق (الخان) من المنشآت التجارية التي تجمع بين توفير مكان لعرض البضائع التي

(١) محمد سهيل طقوش: تاريخ الممالك، ص ٢٩٨. محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٢٦. عزيز عطية - تاريخ الممالك - ص ٤١٨ - ٤١٩

(٢) المقرئ: خطط، ج ١، ص ١٩٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٠٠؛ محمد حمزة إسماعيل الحداد: السلطان منصور بن قلاوون، ص ٦٩؛ عطية نعيم زكي: طرق التجارة، ص ١٢٥؛ محمد جمال سرور: دولة قلاوون، ص ٣٢٤.

(٣) آدم ميز: الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٣٢٧، المقرئ: خطط، ج ١، ص ٩٢ - ٩٤.

(٤) ابن جبير: رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م، ص ٧. ابن شاهين - زيادة كشف الممالك - ص ١٢٢ وبعدها

يجلبها التجار الأجانب معهم، وتوفير أماكن النوم والإقامة في الطابق العلوي".

هذا وقد كانت هناك فنادق مخصصة للتجار الأوروبيين تضم كنيسة صغيرة وطاحونا ومعمرة للبيذ^(١)، وقد وجد في الفسطاط والقاهرة عدد من الفنادق التي خصصت لهذا الغرض وبعضها لعرض الفاكهة والخضر وكان المعاملات التجارية:

لقد اختلفت وسائل المعاملات التجارية في مصر فكانت هناك الحوالات والنقد والمقايضة والقروض وكل ظرف مرهون بوقته.

التداول نقداً:

وهذا أمر طبيعي في التجارة إذا توفر النقد دفعاً، والنقد لم يكن متداول في التجارة الداخلية فقط بل أيضاً في التجارة الخارجية.

الحوالات:

وكان من وسائل المعاملات التجارية في مصر الحوالات. وقد شاع استعمالها في الدولة الإسلامية منذ القرن الرابع الهجري فكان التجار يأخذون رقاعاً من الصرافين بما لديهم من الأموال ثم يشترون ما يلزمهم ويحولون ثمنه على الصراف^(٢).

وقد لجأ السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى وسيلة للدفع تشبه إلى حد كبير هذا النوع من التعامل المالي مما يشبه شيوع استعماله في مصر خاصة في عهد السلطان محمد

(١) المقرئزي: خطط، ج ١، ص ١٣٥؛ ابن دقماق: الانتصار، ج ٤، ص ٤٠؛ أيضاً انظر جاستون فيت: القاهرة مدينة الفن والتجارة. ترجمة: د/ مصطفى العبادي، سلسلة مراكز الحضارة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٦٧. انظر أيضاً شوقي حبيب: التجارة بين مصر وأفريقيا وكيف أن فنادق الكارمية وفرت كل الوسائل للتجار الأوروبيين - ص

قلاوون الذي امتاز بازدهار التجارة وكثرة التبادل التجاري. ويحدثنا المقريزي^(١): " أن الناصر محمد بن قلاوون اشترى ٧١١هـ من تجار الفرنجة بمصر جواهر وغيرها من الحاجيات فبلغ ثمنها ستة عشر ألف دينار وأحالهم على كريم الدين أكرم عبد الله ناظر الخاص وحلته ألا يؤخرهم عن ثلاثة أيام لاضطرارهم إلى السفر "

نظام المقايضة^(٢):

وهو التعامل بأشياء مقابل شيء آخر بدل الفلوس عينية وكان أهالي مدن الصعيد وثمر الإسكندرية يتعاملون في المبيعات القليلة القيمة بأشياء بدل الفلوس وقد وصف المقريزي هذه الظاهرة التي شاهدها بنفسه فقال: " أدركت الناس من أهل الإسكندرية وهم يجعلون في مقابلة الخضرة والبقول ونحو ذلك كسر الخبز لشراء ما يراد دفعه " وكذلك أهل ريف مصر يشترون الكثير من الحوائج والمأكولات ببيض الدجاج ونخال الدقيق وردئ مشاق الكتان. ولم يقتصر نظام المقايضة على التجارة الداخلية بل استعمل على نطاق أوسع في التجارة الخارجية خاصة في القرن الخامس عشر الميلادي " فكان الحمل الاسكندرنى من الفلفل يزن خمسمائة رطل فرفوري ويشتري نقداً أو مقايضة بسلع متعددة كالفضة وقوالب النحاس وسبائك القصدير والرصاص والصابون الأبيض والشمع والمصطكى^(٣)."

كما أنه يقايض بمأكولات كثيرة كالزيت بأنواعه وعسل النحل وعسل السكر ولوز أبوليا وبرونسه والقسطل وبنقد مملكة نابلي وفواكه أخرى. ويعطى أيضاً قنطار من هذه

(١) المقريزي: السلوك، ج ٢، ص ١٣-١٤ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٤٢-٥٥ ؛ المقريزي: إغاثة الأمة، ص ٦٩ ؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص ٣١٨-٣١٩ ؛ محمد جمال الدين سرور: دولتي قلاوون، ص ٣٣٢-٣٣٣.

(٢) المقريزي: إغاثة الأمة، ص ٦٩ ؛ توفيق اسكندر: نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية، نشر مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٥٧م، ص ٤٢.

(٣) توفيق اسكندر: نظام المقايضة، ص ٤٣ ؛ جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٣٣ ؛ آدم ميز: الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٣٢١.

السلع مقابل الحمل الواحد من الفلفل^(١).

القروض:

وقد كان هذا النوع من التداول التجاري موجود بالقاهرة بين التجار ومما يدل على ذلك أن تجار الكارم كانوا قد أقرضوا بعض تجار الفرنجة بعض من المال وكان لتجار الفرنجة حوالة من السلطان قلاوون إلى أكرم بن كريم الدين وفي يوم الاستلام وفد تجار الكارم الذين أقرضوا الفرنجة عشرين ألف دينار فطالبهم كريم بدفع المبلغ ودفعوه للكارمية^(٢).

العملة:

قامت دولة المماليك في تجارتها على السياسة النقدية، والنقود التي يتعامل بها الناس في مصر والشام هي الدراهم الكاملية^(٣)، التي أمر السلطان الكامل الأيوبي بضربها سنة ٦٢٢ هـ وكانت نوعين:

الأول من الفضة النقرة وجعلها ثلاثة أثلاث: ثلثي الدرهم من فضة وثلثه من النحاس.

الثاني: دراهم الفلوس النحاسية وهي مصنوعة من النحاس.

وقد كثر استخدام النحاسية بعد الأزمة الاقتصادية التي حلت بالبلاد سنة ٦٣٠ هـ والدراهم النحاسية لا يشتري بها شيء من الأمور الجليلة وإنما لنفقات البيوت وما تحتاج إليه من الخضر والبقول ونحوها^(٤).

(١) المقريزي: إغاثة الأمة - ص ٦٩، المقريزي: السلوك - ج ٢ ص ٢٠٥، محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون،

ص ٣٣٠

(٢) النويري: نهاية الأدب ج ٣١ ص ٢١، آدم ميز: الحضارة الإسلامية - ج ٢ ص ٣٢١

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٤؛ د/ عبد الرحمن فهمي محمد: النقود العربية ماضيها وحاضرها، القاهرة،

١٩٦٤م، ص ٧٦؛ سعيد عاشور: العصر المملوكي، ص ٣١٥-٣١٦.

(٤) المقريزي: إغاثة الأمة، ص ٧٠.

ولما زالت الدولة الأيوبية، وانتقل الحكم إلى المماليك أقرروا هذا النقد، حتى أمر السلطان الظاهر بيبرس بضرب دراهم جديدة عرفت باسم الدراهم الظاهرية نقش - رنكه عليها^(١) - وهو صورة سيع.

ولم تنزل الدراهم الكاملية الظاهرية تقوم بها المبيعات في مصر والشام في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى سنة ٧٨١هـ حيث ضربت الدراهم الحموية التي ضربها المماليك بحماة، وكثر تدمير الناس منها.

وكانت الفلوس كثيراً ما تريف، ويتوقف حال الناس بسبب التعامل بها حدثنا المقريزي^(٢): " أنه في سنة ٧٢٠هـ خفف المزيّفون وزنها حتى صارت زنة الفلوس سدس الدرهم، وكان هذا النقد يتعامل به عدداً، فكل ثمانية وأربعين فلساً تساوي درهماً فضة هذا وقد ترتب على تلك الفلوس الزائفة زيادة الأسعار، كما أغلق الباعة حوانيتهم حين تقرر أن يكون التعامل بالفلوس وزناً، وهو أن يكون كل رطل منها بثلاث دراهم فضة ".

ولما علم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالأمر، وأن الناس ضجوا بالشكوى بسبب ما لحقهم من الفلوس ورد الباعة لها، وقلة الخبز وغيره.

لذلك قرر ضرب فلوس جديدة زنة الفلوس منها درهم، وعلى أحد وجهيه عبارة: ((لا إله إلا الله محمد رسول الله)) وعلى الوجه الآخر ((اسم السلطان))^(٣).

ولم يكن الناس في مصر يتعاملون فقط بالعملة النحاسية والدراهم الفضية، بل اتخذوا

(١) الرتك: معناه الشعار الذي يتخذه الأمير لنفسه عند تأمر السلطان له. زيادة في التفاصيل عن أنواع الرتوك انظر د/ عبد الرحمن فهمي: النقود، ص ٧٦، وما بعدها؛ كذلك القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٦١-٦٢. المقريزي: السلوك - ج ٤ ص ٧٤

(٢) انظر المقريزي: السلوك، ج ٢، ص ٢٠٥؛ النويري: نهاية، ج ١، ص ٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٤٠١؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٣٠.

(٣) عبد الرحمن فهمي: النقود العربية - ص ٢٦، الكرمل: النقود العربية و علم النميات

الدنانير الذهبية كعملة جارية لهم، وكان يكتب على وجهها ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرسله الله ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون)) وعلى الوجه الآخر اسم السلطان وتاريخ الضرب^(١).

وقد ضربت الدنانير باسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤٠هـ — وهذا حذوه خلفاؤه وكان في مصر ثلاثة دور لسك الفلوس والدراهم والدنانير^(٢).

الأول: القاهرة.

الثانية: بالإسكندرية.

الثالثة: بقوص.

ويشرف على عيار الضرب بهذه الدور قاضي القضاة أو من يستخلفه وكان هناك لدور الضرب ديوان خاص، يحصل منها رسوم للسلطان^(٣).

هذا وقد أعتري الدنانير الممالكية نفس الخلل، لذلك لجأت البندقية لضرب عملة ذهبية تعرف باسم الأفرنتية أو الدوكات. وتمتاز بعيارها الصحيح ووزنها الثابت وسمكها المحدد مما جعلها تحوز على ثقة المتعاملين بها^(٤).

وهذه الدنانير مشخصة على أحد وجهيها صورة الملك الذي ضربت زمانه وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس ويولس والحواريين الذين بعثهما المسيح عليه السلام إلى رومية ويعبر عنها بالأفرنتية^(٥).

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٦٢.

(٢) المقرئزي: خطط، ج ١، ص ١١٠، آدم ميتز: الحضارة الإسلامية - ج ٢ ص ٣٢١

(٣) استانلي لين يول: تاريخ مصر في القرون الوسطى، ج ٢، ص ٣١٧؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص ٣١٦؛ عبد الرحمن فهمي: النقود العربية، ص ٢٦.

(٤) الأفرنتية: جمع أفرنتي وأصله أفرنسي من الفرنجة، ويطلق عليها أيضاً الدوقات وهذا الاسم لا يطلق إلا إذا كانت الدنانير تضرب بالبندقية؛ لأن الملك اسمه عندهم دولك. انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٤١؛ عبد الرحمن فهمي: النقود العربية، ص ٢٦.

(٥) النويري: نهاية الأدب ج ٢١ ص ٢، عبد الرحمن فهمي: النقود العربية - ص ٢٧

وبالنسبة للدرهم الفضية أيضاً تعرضت للفساد ولذلك ضربت الدنانير الحموية في حماة مرة أخرى، وقد تضرر الناس من هذه الدنانير لزيادة نسبة النحاس فيها حتى بلغت الثلثين مما قلل الإقبال عليها وزاد استخدام الفلوس النحاسية المكايل والموازين:

لقد اتخذ المصريون عدة أوزان ومكايل لتصريف تجارتهم سواء بالجملة أو التجزئة ومن أهم تلك الموازين.

١ - الرطل:

كانت أسواق مصر تستخدم الرطل في موازينها ويدل على ذلك ما ذكره المقريزي: " أن الرطل من لحم الدجاج والأوز المطجن، كان يباع بسوق القصرين بدرهم " (١).

٢ - القنطار:

كذلك استخدم القنطار في الموازين فيقال أن الشمع كانت تزداد عليه الحركة التجارية خاصة في شهر رمضان وكانت الشموع الموكية تزن الواحدة عشرة أرطال. والشمع الذي يحمل على العجل يبلغ وزن الواحدة منها قنطاراً.

والمعادن أيضاً كانت تباع بالقنطار - فقد كانت حكومة الممالك حريصة على استخراج المعادن من الأراضي المصرية مثل الشب والنطرون، واحتكرها الديوان السلطاني، وياع لتجار الروم اثني عشر ألف قنطار بسعر يتراوح بين أربعة إلى ستة دنانير لكل قنطار.

٣ - المئقال:

كذلك استخدم الممالك في وزن الذهب المئقال في بيع وضرب النقود الذهبية وقد أشار إلى ذلك القلقشندي العبرة في وزن الدنانير بالمئقال (٢)

(١) المقريزي: خطط، ج ٢، ص ٩٦، محمد جمال سرور: دولة قلاوون، ص ٣٢٥.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٤٣؛ عبد الرحمن فهمي: النقود العربية، ص ٢٦.

القراريط:

واستخدم القراريط في الوزن. وكان وزن الذهب والفضة بالقراريط وقد وصف القلقشندي العملة فقال: "إنها معلومة الأوزان كل دينار منها يعتبر بتسعة عشر قراريطاً ونصف القراريط من المصري"^(١)

المكايل:

أما المكايل فكان يستخدم في مصر الكيلة والإردب^(٢)

١ - الكيلة:

كانت تستخدم لكيل الحب والأرز والبقول وغيرها من البقول ويقال أن محصول الغلال كان يرد إلى ساحل القاهرة حيث يباع بالكيلة في سوق بولاق^(٣).

٢ - الإردب:

أيضاً استخدم الممالك في مصر لوزن الغلال الإردب. وقد ورد ذلك في أن القمح لم يكن سعره ثابتاً في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون فقد بلغ ثمن الإردب خمسة وثلاثين درهماً ثم انخفض في عهد السلطان الناصر أيضاً ثم ارتفع ثمنه حين وقع الغلاء بمصر سنة ٧٣٦هـ فوصل ثمن الإردب سبعين درهماً وكانت تقاس الاراضى الزراعية بالفدان الجيشى (وهو أكبر من الفدان المعروف لدينا)^(٤)

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٤١؛ عبد الرحمن فهمي: النقود العربية، ص ٢٦، ستانلي يوب: تاريخ

مصر في القرون الوسطى، ج ٢، ص ٣١٧.

(٢) القلقشندي، ج ٢، ص ٣١٧

(٣) انظر ما جاء بهذا الصدد القلقشندي - صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٤٦، المقرئ: خطط، ج ٢، ص ٢٠١. انظر ايضا

عزيز عطية - تاريخ الممالك ص ٤١٤ فيه تفصيل الجيشى

.. (٤) المقرئ: خطط، ج ١، ص ٨٨-٨٩، ج ٢، ص ١٣٠

الرسوم الجمركية - الضريبة - الجزازات^(١).

١ - الرسوم الجمركية:

بعد أن ازدهرت التجارة في مصر في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون وزادت ثروتها بسبب التبادل التجاري بينها وبين آسيا وأفريقيا وأوروبا وما ترتب على ذلك من مرور السفن ببضائع الشرق والغرب بثغورها، لذلك فرضت الرسوم الجمركية عند وصول السلع إلى السويس ودمياط والإسكندرية، وعند إقلاعها من هذه الثغور^(٢)

الضريبة:

وهي تفرض على المتجر، وكانت تفرض على متاجر الأجانب ضريبة تساوي خمس بضائعهم ويشرف على جبايتها ديوان الخمس - وقد عرف المقريري هذه الضريبة بقوله^(٣): " فالخمس ما يستأدي من تجار الروم الواردين في البحر عما معهم من البضائع للمتجر بمقتضى ما صولحوا عليه، وربما يستخرج منهم ما قيمته مائة دينار " ما يناهز خمسة وثلاثين ديناراً، وربما انحط عن عشرين ديناراً ويسمى خمساً، وذلك أيضاً قول القلقشندي من ذلك يتضح أن الرسوم الجمركية والضريبة المفروضة على المتاجر التي يستوردها الأجانب لم تكن ثابتة بل ربما ارتفعت وانخفضت حسب الحالة الاقتصادية في الدولة^(٤).

(١) المقريري: خطط، ج ١، ص ١٧٥، ابن شاهين: زبدة كشف الممالك ص ١٠٧ - ١٠٨، القلقشندي: صح الأعشى،

ج ٢، ص ٤٦٢، سعيد عاشور: المجتمع المصري ص ٢٤ - ٢٦، ١٠ - شوقي حبيب: التجارة بين مصر وأفريقيا -

ص ١٢٢ - ١٢٣

(٢) القلقشندي: صح الأعشى، ج ٣، ص ٤٦٠. محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٤٦

(٣) المقريري: ج ٢ ص ١٠٢، القلقشندي: ج ٢ ص ٤٥٩،

(٤) النويري: نهاية الأدب ج ٢١ ص ٢٨، ٩. ابن جبير: رحلة ابن جبير - ص ٨٠٧، ١١ - صبحي لبيب: التجارة

الكارمية وتجارة مصر في عصور الوسطى - القاهرة ١٩٥٢ م - ص ١٢٤ - ١٢٥

٣ - الجوازات:

كان في مصر منذ أقدم العصور الإسلامية نظام دقيق لجوازات المرور. فلم يكن أحد يستطيع أن يترك الناحية التي يقيم فيها إلى ناحية أخرى بدون إذن ولي الأمر، فيعطي المسافر جواز للخروج من مصر يدرج فيه أسماء كل من يرافقه ولو كانوا عبيداً^(١).

وقد ظل هذا النظام سائداً في مصر حتى آل الحكم إلى المماليك فعني السلطان الملك المنصور قلاوون ومن بعده ابنه الناصر بإصدار جوازات سفر كفلت للتجار الطمأنينة في أنحاء بلاده، بل في أسفارهم إلى الهند والصين^(٢).

وكان التجار الأجانب الذين يقدون إلى مصر تسجل أسماؤهم في المكاتب التجارية وقصلياتهم وتسجيل أيضاً جوازات سفرهم. حتى يكون ذلك ضمن لهم في حالة ضياع الجواز وقد اعتبر السلطان أولئك القناصل مسئولين عن رعاياهم أمام الحكومة المصرية وكانت تفرض حكومة المماليك رسوماً على تلك الجوازات، وهو ما يعرف اليوم برسوم الإقامة^(٣).

وهكذا نجد أن مصر تمتعت في عهد أسرة قلاوون خاصة في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بمركز ممتاز بين دول العالم الشرقي والغربي من الناحية السياسية والاقتصادية وذلك بسبب اهتمام الناصر بالتجارة الداخلية والخارجية وانتعاش الاقتصاد وتوطيد دعائم الاتصال الخارجي بالدول الأخرى، مما مهد لها أن تكون دولة ذات استقلال سياسي واقتصادي.

والله ولي التوفيق،،،

(١) آدم ميتز: الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٣٦٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٤٠.

(٢) آدم ميتز - الحضارة الإسلامية - ج ٢ ص ٣٦١، جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٤٣.

(٣) جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص ٣٤٣.

مراجع ومصادر البحث

- ١- أحمد الشربيني: تاريخ التجارة المصرية، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، القاهرة ١٩٩٥م.
- ٢- أحمد مختار العبادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، بيروت، ١٩٨٦م.
- ٣-: كتاب في التاريخ الأيوبي المملوكي.
- ٤- توفيق اسكندر: نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية، ينشر مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٥٧م.
- ٥- جاستون فيت: القاهرة مدينة الفن والتجارة، ترجمة: مصطفى العبادي، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- ٦- حمزة إسماعيل الحداد: السلطان منصور قلاوون، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- ٧- رمضان عبده علي: الشرق الأدنى القديم وحضارات، دار نهضة الشرق، بيروت.
- ٨- زكي محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية والتضاريس الإسلامية - دار الرائد العربي - لبنان - بيروت ١٩٨١ م
- ٩- ستانلي لين بول: تاريخ مصر في القرون الوسطى، جزأين. ١٩٠١م
- ١٠- شوقي عبد القوي عثمان حبيب: التجارة بين مصر وأفريقيا في عهد سلاطين المماليك. - القاهرة ٢٠١٠ م
- ١١- صبحى ليب - التجارة الكارمية وتجارة مصر في عصور الوسطى - القاهرة ١٩٥٢م
- ١٢- عبد الفتاح عاشور: الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، القاهرة، ١٩٧٠م.

- ١٣-: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة،
الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.
- ١٤-: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة،
١٩٦٢م.
- ١٥-: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، القاهرة، ١٩٥٩م.
- ١٦- عزيز سوربال عطية - تاريخ المماليك - الطبعة الثالثة - القاهرة
- ١٧- عبد الرحمن فهمي محمد: النقود العربية ماضيها وحاضرها، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ١٨- عبد الله بن أبيك الدوادار: كنز الدرر وجامع الغرر، المعهد الألماني للآثار الإسلامية،
القاهرة، ١٩٧١م.
- ١٩- عطية نعيم رزق: طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب.
- ٢٠- علي إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة،
القاهرة، ١٩٥٤م.
- ٢١-: مصر في العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، ط ٤،
القاهرة، ١٩٥٤م.
- ٢٢- قاسم عبده قاسم: أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك - الهيئة العامة لقصور
الثقافة ٢٠١١م
- ٢٣-: النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك.
- ٢٤-: عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسي والاجتماعي، نشر عين
للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، القاهرة، طبعة ١٩٤٧م.

٢٥- الكارمية وتجار الكارم في عصر المماليك، نشر مجلة الفكر العربي، عدد ٥٤، كانون الأول، بيروت، سنة ١٩٨٨م.

٢٦- محمد رزق سليم: سلاطين المماليك مكتبة الآداب لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٦٢م

٢٧- محمد محمد أمين: وثائق موقف السلطان قلاوون على اليماستان المنصوري - مركز تحقيق التراث - القاهرة ١٩٧٧م.

٢٨- محمد جمال الدين الشيال: دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص، دار الفكر العربي ١٩٦٧م

٢٩- محمود شاكر: موسوعة التاريخ الإسلامي، العهد المملوكي، ج ٧ - دمشق ١٩٩٥م

المصادر:

١. ابن الأثير، علي بن أحمد بن الكرم: الكامل في التاريخ، ١٢ جزء، القاهرة، بولاق، ١٢٧٤هـ.
٢. ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي: معالم القرية في أحكام الحسبة، كمبردج، ١٩٣٧م.
٣. ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم: تاريخ الدول والملوك، ط٧، نشر دقسطنين رزيق ونجلاء عز الدين، بيروت، ١٩٤٢م.
٤. ابن إياس، أبو البركات أحمد بن محمد الحنفى: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م.
٥. ابن أيك الداوداري، أبو بكر عبد الله بن أيك الداوداري: الدر الفاخر في سيرة الملك الظاهر، نشر هانس روبرت ويرمر، القاهرة.
٦. ابن أيك الداوداري - الامير ركن الدين بيرس الداوداري - زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة - تحقيق دونالد س ريتشادز الشركة المتحدة للتوزيع - لبنان - بيروت - ١٩٩٨ م - ١٤١٩ هـ
٧. ابن بطوطة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي ثم الطنجي: رحلة ابن بطوطة - تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار - دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
٨. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الحياة المصرية الملك المؤيد، عماد الدين إسماعيل، القاهرة، ١٩٦٨م.

٩. ابن جبير: رحلة ابن جبير، بغداد، ١٣٥٦هـ.

١٠. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين ابن علي: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٤ أجزاء، الهند، ١٩٢٩م.

١١. ابن شاهين - غرس الدين خليل الظاهري - زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك - تحقيق راويس بولي - دار العرب للبساني - بيروت ١٩٨٨ م وطبع في باريس ١٨٩٤م

١٢. أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، القاهرة، ١٣٢٥هـ/١٩٢٥م.

١٣. بدر الدين العيني، بدر الدين محمود العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: د. محمد محمد أمين، مركز تحقيق التراث الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٤.: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق: فهم شلتوت، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.

١٥. خالد بن عيسى المغربي: رحلته المسماة تاج المفرق في تحلية تجار المشرق - نشر - مكتبة الوراق - لبنان ٢٠٠٧م

١٦. بيسر الدوادار المنصوري: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، جمعية المستشرقين الألمانية، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ١٩٩٨م.

١٧. السخاوي، شمس الدين بن محمد بن عبد الرحمن: التبر المنسوك في ذيل السلوك، مصر، بلاق، ١٣١٥هـ.

١٨. سرية عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، القاهرة، ١٩٦١م.

١٩. السيوطي، جلال الدين: سعد الرحمن بن أبي بكر بن محمد: حسن المحاضرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، جزءان، القاهرة ١٣٢٧ هـ
٢٠. القلقشندي، أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان - ١٩٨٧ م
٢١. المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي: إغاثة الأمة في كشف الغمة، نشر الدكتور جمال الدين الشيال، ومحمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٥٨ م.
٢٢. السلوك لمعرفة دول الملوك، نشر محمد مصطفى زيات، القاهرة ١٩٥٦ م
٢٣. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق، القاهرة سنة ١٢٧٠ هـ.
٢٤. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب الملكية، القاهرة ١٩٨٢ م
٢٥. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي: معجم البلدان، ١٢ جزء، القاهرة، ١٩٠٦ م.
٢٦. الهواري - حسن محمد - رسالة في محتويات دار الآثار العربية - مطبعة الاعتماد - مصر ١٩٢٦ م
٢٧. ماكس هيرز - لمعة في تاريخ فن المعمار وسائر الفنون الصناعية عصر - القاهرة ١٩٣٠ م

